



www.Rewayat2.com

الوداع!





و. شبيب فاروق

رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية
للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

الوداع !

- قوات أربع دول ومطاراتها ، تطارد رجلاً واحداً بلا رحمة ..
- أكبر متعلمين إجراميتين تنضم إلى ذلك التحالف الرهيب ..
- الإمبراطيون يسعون للسيطرة على العالم ..
- و على (أفهم صبرى) أن يواجه كل هذا وحده ..
- وأن يخوض معركة ضد العالم كله : الإنقاذ العالم كله ..
- ترى .. هل ينتصر (أفهم) في معركته الأخيرة ، أم إنها مهمة (الوداع) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع رجل المستحيل في معركته الأخيرة .. بحق .

160



• اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل بعقلك وحياتك
مع رجل المستحيل ، في مهمته الأخيرة .

www.Rewayat2.com

المؤسسة

العربية للثقافة
والفكر والفنون

الطبعة الأولى : ٢٠٠٥

الكتاب في ٥٠٠
صفحة يتألف من ١٠٠
فصل في ١٠٠ فصول



هل حصلت على نسختك من هذه الرواية ؟
 إن لم تكن .. فبادر باقتنائها لتكسب متعة وتشويقاً لا حد لهما ..



160



روايات مصطفى الرومي
 رجل المستحيل
 الوداع

في كل رواية لغة واحدة



سلسلة روايات
رجل المستحيل

160

روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

الوداع

بقلم : د. نبيل فاروق
الغلاف بريشة : أ. أيمن القاضي

المؤسسة
العربية الحديثة

تطويع وتنشر وتوزع بالقاهرة والإسكندرية



رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية
للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

•
مؤلف مصري مائة في المائة
لا تشوبه شبهة الترجمة أو الاقتباس
أو النقل عن أية لغة أجنبية .

•
إشراف

الأستاذ / حمدي مصطفى

•
جميع الحقوق محفوظة ، وكل
اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع
أو نشر أي جزء من هذا العمل ،
دون الحصول على تصريح
كتابي ، يعرض المؤلف للمساءلة
القانونية .

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة - المطابع 10،8 شارع المنطقة
قصاوية بالقاهرة - مطبع 10، 16 شارع كامل صبرى بالقاهرة - 4 شارع الإسكندرية بشارع الشرق روكسي
مصر الجديدة - القاهرة - ت : 26823792 - 25908455 - 22586197 فاكس : 202/2596650 ج.م.ع -
الإسكندرية 4 شارع بدوي / محرم بك - ت : 03/4970840 - 03/4970850

1 - لحظة النهاية ..

اختفى قرص الشمس تمامًا ، خلف تلك السحب الداكنة السمكية ،
التي غطت سماء (سيبيريا) ، وتوقف انهيار الجليد ، بعد ساعات
طوال ، اكتسى بعدها كل شيء طبقة كثيفة بيضاء ، أفقدت
المنطقة كلها لامحها ، فلم يبد وسط تلك البساط الأبيض الثلجي ،
الممتد لمسافة شاسعة ، سوى واجهة ذلك الكوخ الخشبي الصغير ،
وتلك السيارات القوية المحيطة به ، والتي تعود كلها إلى طراز
واحد رباعى الدفع ، مصمم خصيصًا لتسير فوق طبقات الجليد
السمكية ..

وداخل تلك الكوخ ، بدت الصورة أكثر قتامة وغرابة من خارجه ..
فعلى الرغم من الجدران الخشبية الخارجية ، كانت الجدران
الداخلية من الصلب السميك ، الذى يغطى كل شيء ، فيما عدا
السقف والأرضية ، التي اتفرس فيها عمود معدنى قوى ، يمتد
من السقف إلى الأرض ، وحوله سلسلة سمكية من الفولاذ ،
تلتف نهايتها فى إحكام شديد حول شخصين ، فى حين يقف
أمامهما ثالث ، يدخن سيجارته الروسية ، ذات الرائحة النفّاذة ،
وعلى شفّتيه ابتسامة شامتة ظافرة ، وحوله رجال أشداء ، تطلن
شراسةً للنّيا كلها من عيونهم ..

رجل المستحيل الوداع

الآن جاءت لحظة الوداع ..

وحالت النهاية ..

لنهاية سلسلة ، استغرق صدورها ربع قرن من الزمان ..

سلسلة رجل المستحيل ..

ورجل المستحيل هو (أدهم صبرى) .. ضابط مخبرات مصرى ، يرمز إليه
بالرمز (ن - 1) .. حرف (النون) ، يعنى أنه فئة نادرة ، أما الرقم (واحد) ،
فيعنى أنه الأوّل من نوعه ، هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو
يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة ، من المسدس إلى قاذبة القنابل .. وكلّ لرون
القتال ، من المصارعة وحتى التايكوندو ... هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لست
لغات حيّة ، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التكرّر و (الكهراج) ، وقيادة
السيارات والطائرات ، وحتى الغواصات ، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة ..

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد ، فى سن
(أدهم صبرى) ، كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقّق هذا
المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة
المخابرات العامة ، لقب (رجل المستحيل) ..

و نبيّل فاروق

وفى ظفر شامت واضح ، واجه ذلك الثالث (أبل كوريوف) ،
زعيم (المافيا) الروسية الشخصين المقيدين بالسلسلة الفولاذية ،
قائلاً :

- منلك يقول : إنك قادر على الخلاص من كل مأزق ببراعة
فألقة وجراحة نادرة ، وعبقريّة فذة أيها المصري .

واجهه (أدهم صبرى) بنظرة متحدية ، على الرغم من الدماء
التي تنزف من جرح كبير فى جبهته ، وإصابة واضحة فى أعلى
الجانب الأيمن من ذراعه ، وهو يقول :

- وهل تصدّقه ؟

هزّ (أبل كوريوف) رأسه فى سخرية وحشية ، قائلاً :

- ربما تساءلت عما قرأته من قبل ، أما الآن ، فيبدو لى أنه
حتى لو كان صحيحاً ، فقد بلغ مرحلة النهاية .

قالت (منى) فى عصبية ، وهى تحاول التخلص من قيودها
الفولاذية عبثاً :

- إنك لم تنتصر بعد .

نظر إليها (كوريوف) لحظة فى دهشة ، لم تلبث أن تحولت
إلى ضحكة قوية مجلجلة ، قبل أن يميل نحوها ، قائلاً :

- إنها مسألة دقائق يا عزيزتى .

ثم اعتدل مشيراً إلى ما حوله ، ومستطرداً :

- كما ترى .. الخروج من هنا مستحيل تماماً .. الجدران كلها
فولاذية ، لا تخترقها القنابل .. حتى الدبابات تعجز عن اختراقها ،
وهذه الأنابيب الرفيعة ، التي تربتها قرب السقف ، ستضخ فور
اتصافنا نوعاً من الغاز السام ، عديم الطعم والرائحة ، ولكنه
يسبب إحباطاً عنيفاً للجهاز التنفسي ، يؤدي إلى الوفاة اختناقاً خلال
عشر ثوان على الأكثر ، أما تلك الأنابيب السمكية عند الأرضية ،
فستضخ كميات هائلة من المياه ، تكفى لإغراق الكوخ كله ، خلال
خمس دقائق فحسب ، ولكن اطمئنى ، فقبل أن تكتمل هذه المدة ،
سنكون قد ابتعدنا بدرجة كافية ، لننتفدى انفجار مائة قنبلة
يدوية ، تزين السقف كله كما ترى .

وعلا يميل مرة أخرى ، ولكن نحو (أدهم) ، وهو يقول :

- باختصار ، لم أترك لك لحظة واحدة للقرار يا عبقري المخابرات
المصرية .

غمغم مساعده فى توتر :

- لماذا لم نطلق الرصاص على رأسيهما ، ونهى اللعبة كلها
فى لحظة واحدة أيها الزعيم .

رفع (أدهم) أحد حاجبيه وخفضه ، وهو يقول فى سخرية ،
لا تتناسب قط مع موقفه :

- ربما يكون هذا أكبر خطأ يرتكبه فى حياته .

رفع (كوربوف) حاجبيه ، وهو يشير يديه فى حركة مسرحية ،
مجيئاً مساعده ، ومتجاهلاً قول (أدهم) تماماً :

- واين المتعة يا (جوركى) .. رجل كهذا ينبغى قتله بأسلوب
مبتكر ، يسجله التاريخ باسم (أبل كوربوف) .

ثم التفت له رجل آخر يسأله :

- هل التقطت كل شيء ؟!

خلف الرجل آلة تصوير فيديو صغيرة عن عينه ، وهو
يقول :

- كما أمرت تماماً أيها الزعيم .

انتشى (كوربوف) ، وهو يقول :

- عظيم .. الوداع يا رجل المخابرات العبرى .

ثم اتجه نحو باب الكوخ ، مضيقاً فى سخرية :

- سابقاً .

غادر الكوخ مع رجاله ، تاركاً (أدهم) و (منى) وحيدتين ، مقيدتين
بالأغلال الفولاذية السمكية ، إلى ذلك العمود المعدنى ، فى منتصف
الكوخ ، وما إن أغلق الباب خلفه ، حتى بدأت تلك الأنابيب الدقيقة
فى بث ذلك الغاز السام فوراً ، ومع ذلك الفحيح الذى أطلقته ،
التفتت (منى) إلى (أدهم) فى ذعر ، هاتفه بصوت مرتجف :

- (أدهم) .

ولكنه لم يجب ، فقد إنعقد حاجباه ، وبدأ شديد التركيز ..

إلى أقصى حد ..

وفى الخارج ، اتجه (كوربوف) ورجاله نحو سيارة كبيرة ،
يحتجز رجاله فيها (قدري) ، الذى هتف به فور رؤيته :

- ماذا فعلت بهما أيها المجرم ؟!

أشار إليه (كوربوف) فى لا مبالاة قائلاً :

- لا تقلق نفسك بشأنهما .. فكر فقط فيما عرضته عليك .

هتف (قدري) :

- أقتلنى معهما أيها السفاح .. إننى أفضّل الموت .

ابتسم (كوربوف) فى سخرية ، وأشعل سيجارة أخرى ، وهو
يقول :

- يقول الأمريكيون : احذر ما تتمناه ، فقد يتحقق .

ثم التفت إليه في شراسة ، مستطردًا :

- ثم إننى لا أقبل الرفض .. حاول استيعاب هذا .

قال (قدرى) ، وهو يكاد يبكى ياسًا ومرارة :

- لن تنجح .. أقسم أنك لن تنجح .

أطلق (أبل كوروبوف) ضحكة وحشية ساخرة عاقية ، قبل أن يقول :

- هذا ما سمعته من (سونيا جراهام) ، قبل أن أدمرها تمامًا ،

و (دونا) لطفتة ، قبل أن توقع وثيقة موتها ، ولكننى تحدثت الجميع ، وها أنذا أربح المعركة .

قال (قدرى) فى عصبية :

- لم تربحها بعد .

هزّ (كوروبوف) كتفيه ، قائلاً :

- عبارة لطيفة ، ولكنها تبدو مضحكة ، بعد أن تخلّصت من

كل الخصوم والمنافسين والطامعين ، وحصلت على المعاملة الناقصة ،

لتشغيل أقوى سلاح عرفته الأرض ، بعد القنبلة الذرية ، وأصبحت

عملياً أقوى رجل فى العالم ..

والتمعت عيناه ، وهو يضيف فى زهو شرس :

- بل يمكنك أن تقول .. سيد العالم .

انسالت الدموع من عينى (قدرى) بالفعل ، وهو يفهم :

- أنت مجنون .

التفت إليه (كوروبوف) ، فى حركة شرسة غاضبة ..

وفى نفس اللحظة دوى الانفجار ..

انفجار عنيف ..

انفجار مائة قنبلة يدوية ، داخل كوخ من الصلب ..

انفجار لطاح بالسقف الخشبي لمسافة عشرين متراً ، ليهر فوق

تلك السيارات القوية حول المكان ، ويرتفع معه لسان من اللهب

لمسافة أكثر من عشرة أمتار ، مع سحابة هائلة من الدخان ..

وبسرعة استدار (كوروبوف) إلى الانفجار ، وتحولت التماعة

عينيه إلى بريق قوى ظافر ، وهو يهتف :

- فعلتها .

وعاد يلتفت إلى (قدرى) ، صارخاً فى زهو شديد :

- قتلت (أدهم صبرى) .. قتلت الأسطورة .

ثم صرخ بأحد رجاله :

- هل التقطت هذا ؟..

وانفجر (أندري) باكيا في عنف ..

لقد شاهد ما تعنى طيلة عمره الأبراه ..

شاهد لحظة النهاية ..

نهاية (أدهم صبرى) ..

نهاية رجل المستحيل ..

لو أن هذا هو الفصل الأخير ، كما يراه زعيم (المافيا) الروسية ،
فلكى نستوعبه ، لا بد لنا من العودة إلى الفصل الأول من هذه الأحداث ..

أو إلى البداية ..

بداية الرحلة ..

رحلة الوداع ..

على الرغم من الأيام القليلة التى تفصلهم عنها ، بدت البداية ،
لكثرة أحداثها بعيدة .. بعيدة للغاية ..

لقد كانت هناك .. فى (مصر) ، عندما استعان رجل المخابرات
المخضرم السابق السيد (حسن) ، صديق عمر والد (أدهم) بهذا
الأخير : لحماية حفيده (هشام) ، الذى يتعرض لأمر غامضة
مقلقة فى (تشارلوتفيل) ، بولاية (فيرجينيا) الأمريكية ..

وكمترتب ، ومن خلال رحلة تدريب ظاهرية ، سافر (أدهم) إلى
(باريس) ؛ لينطلق منها إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، دون
أن يدري أن أجهزة مخابرات أربع دول قد تحالفت ضده ..

(إسرائيل) ..

و (أمريكا) ..

و (روسيا) ..

و (بريطانيا) ..

وأنهم قد ضموا إليهم (دونا كارولينا) ، زعيمة (المافيا) ، أقوى
وأقدم منظمة إجرامية معروفة ، واستعانوا بأحدث تكنولوجيا
عرفها العالم ..

(فرنياليتى) .. كمبيوتر ضخم ، مبرمج بحيث يحوى كل تفاصيل
حياة وشخصية (أدهم) ، حتى يماثله تفكيراً وتديباً ، ويمكنه أن
يتوقع ويستنتج تصرفاته وتحركاته ، بنسبة تبلغ ما بين السبعة
والتسعين والثمانية والتسعين فى المائة ..

و(ريد آي) ، ذلك الجهاز الحديث ، القادر على اختراق أية وسائل تذكر يلجأ إليها ، وكشفه مهما بلغت براعته ..

وقوات خمس جهات رهيبة ..

وجيوش لا حصر لها من الرجال ..

وكل هذا ضد رجل واحد ..

(أدهم صبرى) ..

وفي (باريس) بدأ الصراع ، ثم انتقل إلى (شارلوزفيل) ، ليواجه (أدهم) و(هشام) هناك جيشاً من رجال دونا ..

ثم تدخلت الإدارة الأمريكية بقوتها ..

وكان دور (المارينز) .. أقوى فرق الهجوم الأمريكية كافة ..

ومن (فرجينيا) إلى (واشنطن) ، دارت مطاردة مميتة ، بين قوات المارينز ، والشرطة الأمريكية ، وبين الرجل والشاب ..

(أدهم) .. و(هشام) ..

في الوقت نفسه كان (أبل كوريوف) ، زعيم (الماфия) الروسية يحاول تشغيل ذلك السلاح الرهيب ، الذى تركته (سونيا) خلفها ، قبل أن تقع فى قبضة الأمريكيين ، و(تيا) الصينية الحسنة تسعى لضم (دونا كارولينا) إليها ، وتحرير (سونيا) ، فى حين كانت المخابرات المصرية تستعد لخوض الحرب إلى جوار رجلها ..

حرب المخابرات ..

وتشابكت الأحداث وتعمّدت ، وقاتل الإسرائيليون للفوز بذلك السلاح الرهيب ، الذى يكفل لمالكه السيطرة التامة على الأرض كلها ، باعتباره أقوى سلاح عرفه للعالم ، بعد القنبلة الذرية ..

وتعمّدت الأمور وتشابكت ، وسافرت (منى) مع (قدري) إلى (واشنطن) ، ضمن خطة شاملة ، يشرف عليها السيد (حسن) بنفسه ..

وهناك فى (واشنطن) ، كان (أدهم) و(منى) و(قدري) يواجهون موتاً محتوماً ، داخل منزل كان يفترض كونه آمناً ، وفريق (كوماتدور) أمريكى يهاجمهم بقنابله ..

ودوت الانفجارات توقف (واشنطن) كلها ..

بمنتهى العنف (*) ..

هب الرئيس الأمريكى من مكانه فرعاً ، فى هذه الساعة المتأخرة من الليل ، مع دوى الانفجارات الرهيب ، الذى ترنّد فى (واشنطن) كلها ، واندفع يسأل حرسه الخاص فى هلع :

.. ماذا يحدث ؟! .. ماذا يحدث هنا ؟!

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الأجزاء الثلاثة الأولى (المدرّب) ، (الخطة) ، و(الهجوم) .. المقامات أرقام (157) ، (158) ، و(159) ..

أعداه رجال الحراسة إلى حجرته ، وكبيرهم يقول في حزم :
 - لا تعادر حجرتك يا سيدي ، حتى نتبين ما يحدث بالضبط .
 هتف في عصبية بالغة :

- هجوم إرهابي إنه هجوم إرهابي . أليس كذلك ؟

حاول رجال الحراسة دفعه إلى الداخل في رفق ، وكبيرهم يكرر ،
 في شيء من الحزم هذه المرة :

- ابق في حجرتك يا سيدي الرئيس . أرجوك .

ولكن الرئيس أصيب بحالة هستيرية عجيبة ، وهو يلوح
 بذراعيه ، صاخًا :

- (بن لادن) .. إنه (بن لادن) مرة أخرى .. هذا الرجل لن
 يكف ، قبل أن يقضى على .

صاح فيه كبير الحراس في صرامة :

- حجرتك يا سيادة الرئيس .

صرخ فيه غاضبًا

- أنا رئيس الولايات المتحدة الأمريكية .

صاح فيه لرجل ، وهو ينقعه داخل حجرته ، بشيء من الخشونة .

- وأنا المسئول عن حمايتك وتأمينك ، في مثل هذه الظروف .
 صاح الرئيس ، قبل أن يفلق قائد الحراسة خلفه باب حجرته :
 - أريد وزيرة الخارجية .. فورًا .

لم تمض دقائق قليلة ، حتى كانت الوزيرة داخل حجرته ، تقول
 في صرامة :

- اهدأ يا سيادة الرئيس .. أنت آمن هنا .. لا شيء يمكنه
 الوصول إلى حجرتك .. اهدأ .

سألها بكل عصبية الدنيا :

- ماذا يحدث هنا ؟! لقد سمعت انفجارات توحى بنشوب حرب ! .
 لراهن أن (واشنطن) كلها قد استيقظت ، والرعب يسود الجميع ،
 غمغمت ، وحاولت إخفاء عصبيتها ، عبر الإشاحة بوجهها :
 - هذا صحيح .

صاح بها :

- إنه هجوم إرهابي .. أليس كذلك ؟!

أجابته بكل صرامة :

- كلا .

وبدت شديدة العصبية ، وهي تضيف :

.. إنه ذلك المصري .

اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يهتف :

.. مرة أخرى .

شعلتهما صمت عجيب يصعب وصفه ، خلال نصف الحقيقة للتلبية .

قبل أن يهتف في لهجة ، جمعت بين السخط والغضب والتوتر والخوف :

.. ماذا أصابكم ؟! .. قوائنا كلها تعجز عن اقتناص رجل واحد !.

كل ما لنفقه على الأمن لا يكفى للإيقاع به ؟! . تكنولوجيايتنا التي

نتبها بها على العالم كله ، تقف عاجزة أمام فرد .

هتفت في عصبية :

.. ليس مجرد فرد .

صرخ :

.. بل مجرد فرد فرد واحد ، مهما بعث قوته ومهارته . فرد

نستطيع أن ندفع كل وسائل الأمن لدينا لمصيرته ، بضغطة زر واحدة .

بلغت عصبيتها ذروتها ، وهي تهتف :

.. ليس بهذه البساطة .

قل بكل الغضب :

.. كيف يا مستشارة الأمن القومي السابقة كيف ؟! . المفترض

أنك قادرين على إخضاع أمم بأكملها

مالت نحوه مكثرة عن أنسبها ، كما لو أنها تهم بالقراسه ، وهي

تصرخ فيه :

.. إخضاع الامم أمر مدروس ، يخضع لآلاف العوامل ، وللضعف

الشرير بالدرجة الأولى ، ولكن مطاردة رجل واحد . لا يمكنك

حتى سدي هويته ، ليس بالبساطة نفسها .

يوح بذراعيه ، هاتفا :

.. هكذا ؟! لن نستبعد إذن أن أجده أمامي هنا .. في البيت الأبيض !

هتفت بكل الشراسة :

.. مستحيل !

لنطقها على نحو مخيف ، قبل أن تستطرد بكل الحدة :

.. لقد أشرفت على نظم تأمين المكان بنفسى ، وب من بعوضة

يمكنها التسلسل إليه ، دون أن يتم رصدها ، والتعامل معها ، خلال

أقل من دقيقة .

غمغم في عصبية :

- أتعلم هذا .

تحدثت في توتر ، ثم أشارت بيدها ، قائلة :

- وهو مستحيل من ناحية أخرى أيضا .

تطلع إليها في لهفة وتساؤل ، فأردفت بمنتهى الحزم :

- فهذه الانفجارات التي تسمعا ، تعنى أنه تم القضاء عليه ..

وبدا صوتها شديد القسوة ، وهي تضيف في حسم :

- ونهائيا .

وعلى الرغم منه ، ارتجف الرئيس الأمريكى .

في عنف ..

على الرغم من تلك الانفجارات الرهيبة ، التي هزت العاصمة الأمريكية كلها ، وأيقظت سكانها على فزع ما بعده فزع ، إلا أنه من العجيب أن انفجرا واحدا منها لم يحدث داخل تلك المنزل الآمن ..

فمنذ سقطت تلك القنابل اليدوية داخل المكان ، تحول (أدهم) و (منى) فجأة إلى شعلة من النشاط ، تتحرك بسرعة البرق ، كما أنهما تدرّبا على هذا طيلة عمرهما .

لقد تحركا في دقة وسرعة ، وراح يلتقطان تلك القنابل ، قبل أن تبلغ لحظة الانفجار ، ولفياها مرة أخرى عبر النافذة (*) .

حتى (قدري) نفسه ، وجد قبلة تتدحرج تحت قدميه ، فالتقطها ، وغدق بها عبر النافذة ، هاتفا بكل عصبية :

- أدهم .

خارج المنزل الآمن ، ووسط صلفوف الكوماندوز دوى انفجار ..

وثان ..

وثالث ..

ورابع .

والمدهش أنها لم تكن انفجارات تلك القنابل اليدوية ..

بل انفجارات أكثر عنفا وقوة ، وموزعة على نحو دقيق ومنروس ..

(*) يعتمد انفجار القنابل اليدوية على نوع من التفاعل الكيميائى ، الذى يبدأ فور نزع الفلين ويستغرق عدة ثوان ، قبل حدوث الانفجار ، حماية لمن يلقى القنبلة من انفجارها المباغت .

انفجارات أطاحت بالسيارات ..

والأسلحة ..

ورجال الكوماندوز أنفسهم ..

ثم أطلقت سحباً رهيباً من الدخان ، غطت المنطقة كلها ،
وأغرقت الجميع في نوبة عنيفة من السعال والتهاب الأعين ..

وبكل قوته ، صرخ قائد الكوماندوز :

- ألقوا الغاز . استخدموا أقنعة الغاز .

أطاع الرجال أمره بسرعة ، وقبل أن يعاودوا الهجوم على
المنزل ، شاهدوا تلك الأجساد البشرية ، التي تتحرك في خفة ،
تحت ستار الدخان ..

أجساد امرأة ورجلين ، أحدهما يدين على نحو مفرط ، يرتج
جسده كله مع حركته ..

وكانت تلك الأجساد الثلاثة تدفع نحو سيارة (فان) كبيرة ،
انطلقت فور أن دلفوا إليها

وصرخ القائد في غضب :

- أطلقوا النار ..

وخلف الفان ، انطلقت آلاف الرصاصات

ومع دوى لرنظامها بالسيارة ، بدا من الواضح أن ميزان
القوى ينقلب لصالح الأقوى .

رجال الكوماندوز ..

الأمريكيين

★ ★ ★

2- البيت الأبيض ..

« لقد قتلوه » ..

هتف (هشام) بالعبرة ، بكل فرع الدنيا ، وهو يقف في شرفة مبنى السفارة المصرية ، يتابع تلك الانفجارات الرهيبة ، وهو واثق أنها كلها بسبب رجل واحد ..

رجل المستحيل !

ولكن الملحق العسكري للسفارة ربت على كتفه ، قائلاً :

- لا تتسرع بالاستنتاج .

أشار (هشام) بيده نحو تلك الانفجارات ، وهو يلتفت إلى الملحق العسكري ، قائلاً في مراة :

- أو استنتاجات ؟ .. ألا تسمع ما يحدث . هل تتصور أن الأمريكيين يمكن أن يجازفوا بفصيحة أميرة كهذه ، دون أن يظفروا بشيء ؟

هز الرجل رأسه في هدوء ، قائلاً :

- كلا بالتأكيد .

هتف به (هشام) :

- إذن ؟

أجابه في سرعة وحسم :

- إذن فهم يفعلون كل هذا بأمل الانتصار ، والفوز بمن يسعون خلفه ، أو ما يسعون خلفه .

ثم مال نحوه ، مضيفاً :

- ولكن هذا لا يعني أن يظفروا به .

« (هشام) فاه ، وهو يحدث فيه لحظات ، قبل أن يسأله ، في عصبية لم يستطع السيطرة عليها :

- تهدؤ واثقاً .. أتخفى شيئاً ؟

اعتدل الرجل ، مجيباً :

- لست أعلم ما يمكن أن أخفيه ، ولكنني أعرف من هو سيادة الصيد (أدهم) بالضبط .

هتف (هشام) بأنفاس مبهورة :

- أعني أنه من الممكن أن ...

قاطعه في حزم :

- كم مرة واجهتما أمورًا أشد تعقيدًا ، وأمكنه تجاوزها ؟!

تراجع (هشام) وهو يحدث فيه ، مسترجعًا كل ما خاضه مع (أدهم) ، قبل أن يغرق في خفوت ، لم يخل من العصبية ، التي لم تفارقه بعد :

- أنت على حق .

ثم عاد يلتفت إلى تلك الانفجارات في صمته ، وكيانه كله يتساءل ..

هل يمكن أن يلجؤ (أدهم) بالفعل هذه المرة ؟!

هل ؟!

« لا أعتقد هذا .. »

نطقها سير (ويليام) في حزم شديد . جعل (جون) يتساءل في اهتمام ، لم يخل من التوتر :

- ولكنها قوات هائلة حسبها وصلنا . ثلاث فرق كورمادوز كاملة ، وثمانية أسلحة ، و ...

قاطعه (ويليام) في حزم :

- سينجو .

هز (جون) رأسه بعدم اقتناع ، وهو يقول :

- هذا يبدو لي مستحيلًا

رفع (ويليام) سنيته أمام وجهه ، قائلاً :

- ولهذا أطلقوا عليه ذلك اللقب .

وماي نحو (جون) مستطردًا :

- رجل المستحيل .

انتفض (جون) من فرط الغضب ، هاتفًا :

- مجرد لقب .

ابتسم (ويليام) ابتسامة مستفزة ، وهو يقول :

- انتظن هذا ؟!

استفزت الكلمة (جون) في شدة ، فقال في تحدٍّ ، على الرغم

من أنه يتحدث إلى رئيسه :

- نعم أظن هذا .

انعقد حاجبا (ويليام) فى شدة وغضب ، وهو ينظر إليه .
ولكن قبل أن ينطق بحرف واحد ، دخل السفير ، قائلًا -

- ها هي ذى الأوراق التى طلبتموها .

التفت إليه (ويليام) ، والنقطة الأوراق فى لهفة وخلة ، قائلًا :
- ستفيدنا كثيرًا بالتأكيد .

التزع (جون) مسدسه من جيبه ، قائلًا :

- هذا سيفيدنا أكثر بالتأكيد .

رمقه (ويليام) بنظرة صارمة قاسية ، قبل أن يميل نحوه ، قائلًا :

- هل تعلم لماذا نواجه كل هذا التعقيد يا (جون) ؟!

فرد (جون) قائمته ، فى محاولة نبهث الثقة فى نفسه ، وهو
يسأل فى حذر لم يدر له سببًا :

- لماذا ؟!

مات (ويليام) عنده أكثر ، مجيبًا :

- لأن العقد انفرط .

بدت دهشة واضحة على وجه (جون) ، وأطلقت من عينيه ،
على نحو يوحى بأنه لم يفهم العبارة . فتابع (ويليام) مفسرًا .

- لقد كنت الخطة تعتمد على ما زلت معنا .. أربعة أجهزة مخبرات
كبرى ومنظمة إجرامية قوية ، مع برنامج كمبيوتر شديد التطور ،
ونظم رصد هى الأحداث هى هذا العصر ، وخطة دقيقة للغاية ،
قادرة على محاصرته وتدميره .

وصمت لحظة ، وكأف يرى تأثير حديثه على (جون) ، الذى
ثم سكت حيرته بعد ، مما جعل (ويليام) يواصل :

- (دونا كارولينا) كسرت هذا التحالف ، والإسرائيليون الذين
يدعوا كل شيء ، يعملون على نحو غامض ، ولا يشاركون حتى فى
الأحداث ، وكان لهم هدفًا آخر لم يعلنوه ، والجنرال (مائيكوف)
لم يعد فى الصورة ، والأمريكيون تحركوا وحدهم بمنتهى العنف .
ونحن نقف دون تأكيد هياتنا . باختصار انكسر التحالف وانفرط
عقده ، وصار كل منا يعمل وحده ، فى تيار منفصل ، وهذا أكثر
ما يفيد تلك المصرى .

سأله (جون) فى عصبية :

- قيم ؟!

ليتعم سير (ويليام) ، قائلًا :

- إنه مبدأ أرسيناه نحن ، وعمقنا جذوره في المنطقة العربية ،
من أيام (لورانس) (*) ..

ومال نحوه بشده ، وهو يضيف :

- مبدأ قرقي تصد .

ثم اعتدل ، قالاً في حزم :

- فنحن نلحقنا ..

وصمت لحظة ، قبل أن يعمل في صرامة عصبية :

- وهو سيسود .

وتضاعلت دهشة (جون) ..

الف مرة ..

اتسعت عيننا (يوري ساندوفيتش) عن آخرهما في انبهار ،
وهو يقف داخل تلك القاعة الكبيرة ، التي اكتظت بأحدث الاجهزة
العلمية ، التي طلب إحضارها ، منذ ساعات قديمة فحسب ..

(*) (توماس إدوارد لورانس) (1875-1935) من غير شرعي للورد واستقر على
بريطاني ، ورجل مخبرات فذ معروف تاريخياً باسم (لورانس العرب) ؛ لأنه عاش
شطراً من حياته في المنطقة العربية ، وتحدث بطلاقة وفردى جذبات وعقلا ، نبدى
المعمار الأخير في بعض إمبراطورية العثمانية في العصبة العربية ، وبعد أشهر
رجل مخبرات بريطاني عرفه التاريخ .

لم يدرك كيف استطاع (أبل كوربوف) إحضارها بهذه السرعة ،
إلى ذلك المكان البعيد ، ولا كم تكلفت من أموال طائلة ، إلا أنها
بدت له أشبه بكنز رهيب ضخم ..

أو كأنه يقف في مغارة (على باب) ، ذلك البطل الأسطوري ،
الذي وردت حكايته في روايت (ألف ليلة وليلة) ، عندما عثر على
المغارة ، التي تحفر فيها عصابة من اللصوص غنائمها ..

لقد ظل يعمر لأكثر من عشر سنوات ، في أكبر المعامل
الروسية ، الحاصلة بأبحاث الفضاء ، دون أن يحلم حتى برؤية
تلك الأجهزة ..

فقط كان يقرأ ويسمع عنها ..

أحياناً ..

« متى تنتهي من إعداده ١٢ »

ألقي (كوربوف) سؤاله بمنتهى الصرامة ، على نحو التزع
(ساندوفيتش) من أفكاره في عف ، وجعله يرتجف في شدة ،
وهو يلتفت إليه ، قاللاً في ارتباك وخوف شديدين :

- فور أن أحصل على المعادلة يا سيدي

هتف فيه (كوربوف) في حدة :

- أي معادلة ١٢

أجابه مرتجفاً :

- برنامج تشغيل هذا السلاح ، ما زالت تنقصه معادلة لاسمسية ..
برنامج صغير ، من عدة كيلوبايتات* فحسب ، ولكنه الوحيد القادر
على فك شفرة التشغيل ، وإطلاق الجهاز .

زمجر (كوربوف) فى غضب شرس ، وهو يقول :

- ولماذا لم تخبرنى عن هذا منذ البداية ؟

أشار (ستاندوفيتش) بسبائته ، قتلأ :

- تصورتك على علم بهذا أيها الزعيم .

زمجر (كوربوف) مرة أخرى بغضب أكثر ، دون أن يحاول
التعليق ..

لم يكن من الممكن أن يعرف اسم (يورى) ، بأنه كـ مجهول هذا

لم يكن من الممكن أبداً ..

وفى عصبية بالغة ، سألته :

- وكيف يمكننا الحصول على تلك البرنامج الصغير ؟

(*) البايٲ هو الوحدة الأساسية للكمبيوتر . ولكنه لا يعمل وحده ، ونحن مر
خلال قوائم يتكوّن كل منها من ثمانى وحدات ، تحمّل كل منها قيمة إما ثل واحد الصحيح
أو الصفر ، ومن هذه القوائم لتكوّن لغة الكمبيوتر والبرمجة لأى نظم من العالم ،
وتعرف باللغة الثنائية صفر واحد .

لوح (يورى) بيده ، مجيئاً :

- إنه أمر بسيط للغاية .

ثم انخفض صوته ، وهو يضيف .

- لو علمنا من وضع البرنامج لأساس .

اتعقد حاجباً (كوربوف) فى غضب عصبى ، وهو يقول :

- وكيف يمكننا .. نعلم ؟

كانت الحيرة ، التى لظنت فى عينى (يورى) ، هى خير جواب
للسؤال : ما جعل (كوربوف) يهتف فى ثورة :

- اللعنة !.. إنها (سونيا) .

تصاعل (يورى) فى حنر :

- (سونيا) ؟

صاح فيه (كوربوف) فى شراسة :

- لا شأن لك بهذا .

قلتها ، وتدفع نحو باب القاعة ، ولكنه توقّف قبل أن يصل
إليه ، والتفت إلى (يورى) ، قائلأ فى صرامة شرسة :

- لنجز أنت أعمالك ، وانتظر وصول تلك للمعادلة .

أجابه (يورى) فى خضوع :

- بالتأكيد أيها الزعيم .. بالتأكيد .

وما إن أغلق (كوريوف) الباب خلفه ، حتى أشاح (يورى) بوجهه ، محاولاً إخفاء تلك الابتسامة ، التى لم تسمع على شفثيه .

فبالنسبة إليه ، كانت هناك خطة أخرى ..

خطة أكثر شراسة ..

ومسطرة ..

بكثير ..

كانت عقارب الساعة تقترب من الخامسة صباحاً ، والخطوط الأوسى للهجر تبدأ تسللها من خلف البندريات الشرقية للمصمة (واشنطن) ، ومشكلة تلك التفجيرات لم تحسم بعد ، وحيش من رجال الصحافة والإعلام يهرع إلى المكان ، عندما ارتفع رنين الهاتف الخاص للرئيس الأمريكى ، الذى كان يحلّس بنفسه خلف مكتبه فى تلك اللحظة ، والذى اختطف سمعة الهاتف فى معركة عصبية ، وهو يقول :

- ماذا حدث ؟

أته صوت الإسرائيلى (راعول) ، وهو يقول فى شيء من الصرامة :

- أريد مقابلة منفردة عاجلة .. وفوريا .

هتف الرئيس الأمريكى فى عصبية :

- فى هذه الساعة ؟

أجابه (راعول) فى صرامة أكثر :

- اء تسمع ما يحدث ؟

سألت وزيرة الخارجية ، التى ما زالت داخل مكتب الوزير :

- من هذا ؟

تجاهلها الرئيس عمداً ، وهو يسأل (راعول) :

- ألهذا اللقاء صنة بما يحدث ؟

أجابه فى صرامة أكبر ، وحزم شديد :

- ظننت أن هذا يبدو واضحاً .

كررت الوزيرة فى عصبية :

- من المتحدث ؟

ومرة أخرى تجاهلها الرئيس تماماً ، وهو يقول :

- أنا في انتظارك .

أنهى المحادثة ، فارتكبت الوزيرة بكفيها على سطح المكتب ،
تسأله :

- من يطلب المقابلة في هذه الساعة ؟

رفع الرئيس عينيه إليها في عصبية ، وهو يقول :

- أبلغني طاقم الأمن أن الدبلوماسي الإسرائيلي دون (راعول)
سيأتي بعد قليل .

هتفت مستنكرة :

- الإسرائيلي ؟

فوجئت به بضرب سطح مكتبه براحته في قوة ، وهو يصرخ
بملتهى العصبية :

- نعم ، الإسرائيلي .. لقد سمحت له بالحضور ، لأنه يؤكد
أن لديه أمراً عاجلاً ، يتعلق به يحدث

صاحت بدورها :

- وهل تثق بما يقول ؟

صرخ ، وعصبته تتزايد :

- نعم ، وماستقبله ، أين كان رأيك ، وأيا كان موقفك تجاهه

وعاد يضرب سطح مكتبه براحته ، مضيقاً :

- أنا رئيس أقوى دولة في العالم ، وهذا حق

حدقت فيه لحظات في شهة كبيرة ، قبل أن تقول في حدة :

- لا ، ليس حدث .

هتف مستهين الاستنكار :

- ليس حق ؟

أجابته في لهجة أقرب إلى الشراسة :

- بالتأكيد .. أنت تحتل منصب الرئيس ، وهذا يحتم عليك ، وفقاً
لنظام الديمقراطية ، ألا تتخذ أية خطوات منفردة ، خاصة في ظروف
أقرب إلى ظروف الحرب والإرهاب كهذه .

احتقن وجهه بشدة ، وظل يحدق فيها بضع لحظات في غضب
هادر ، قبل أن يصرخ :

- يا قائد الحراسة .

قبل أن تنتهي صرخته ، كان قائد الحراسة يدخل المكتب ،
قائلاً :

- أوامرك يا سيادة الرئيس .

أشار إليه الرئيس ، قائلاً في صرامة :

- قُد وزير الخارجية إلى الخارج . لقد انتهى لقاؤى بها

احتقن وجه الوزير ، فتحول إلى لون داكن عجيب ، والرئيس
بضيف متحدياً ..

- وسألتقى بالسيد (راعول) فور وصوله .

بدا كأن هذا الأمر يروق لقائد الحراسة ، الذى عقد عليه امامه ،
وهو يقول للوزير :

- سيدتى الوزيرة .

التفت إليه فى شراسة ، قانصة :

- كيف تجرؤ ؟ هل نسيت أنك كنت ..

قاطعها فى صرامة ، تفوح منها رائحة شماعة .

- كنت يا سيدتى .. كنت .. والآن ، هل ستصرف معاً ، أم على

أن أرسل أحد الجنود ، لاصطحبك إلى الخارج .

ازداد احتقان وجهها ، على نحو زاد من قبحها ، وهى تلتفت
إلى الرئيس ، قائلة فى غضب :

- بم يهتدك الإسرائيليون ؟

أجابها فى مزيج من الغضب والسخرية والصرامة .

- إلى اللقاء أيتها الوزيرة .

لم تكد تخرج مع قائد الحراسة ، حتى ارتفع صوت من جهاز
الاتصال داخل ، على مكتب الرئيس ، يقول :

- السيد (راعول) يطلب إذن بالدخول يا سيادة الرئيس .

ضغط زر الاتصال ، وقال فى عصبية :

- دعه يدخل فوراً .

وجلس خلف مكتبه ، محاولاً التظاهر بالتماسك ، وهو يتساءل
فى أعماقه :

ترى ما الأمر العاجل ، الذى جاء بالإسرائيلى فى هذا الوقت ..

ما هو ؟

مع سبيل الرصاصات ، لئلا تنهمر كالمنظر على السيارة (الفان) ،
اتحرفت السيارة عن مسارها ، وتوقفت إلى جانب الطريق ، بعد
أن ارتطمت بجانب الإفريز ، وارتفعت فوقه .

وفي ثوان ، كان رجال الكوماندوز الأمريكيين يحيطون بها ،
ويصوبون نحوها مدافعهم وصواريخهم في تحفز ، ورجال الإعلام
يسرعون لالتقاط كل ما سيحدث ، في حين هتف قائد الكوماندوز
برجاله :

- حاصروها ، وأطلقوا النار على الإطارات

هتف به أحدهم :

- إنها سيارة مصفحة .. رصاصاتنا لم تחדش حتى سطحها .

صرخ فيه مكرراً :

- أطلقوا النار على الإطارات .

انطلقت رصاصاتهم تخترق الإطارات سطحية العميقة ، قبل
أن يهتف أحدهم في توتر :

- إنها إطارات مضادة لرصاص .

وكان على حق تماماً ..

إطارات تلك السيارة لم تكن مغرقة من الدخول ، كإطارات كل
السيارات ، سواء الأتوبية أو غير الأتوبية ..

كانت إطارات خاصة ، مكونة من قطعة مطاطية واحدة سمكية ..

إطارات قد تخترقها الرصاصات ..

ولكنها لا تستطيع أن توقفها .

لهذا ..

وبن رجال الكوماندوز أحاطوا بالسيارة إحاطة السوار بالمعصم ،
وصوبوا نحوها مدافعهم وصواريخهم ، في توتر شديد ، في حين
صاح قائدهم بركابها ، عبر مكبر صوتي خاص :

- احذركم .. سنستخدم صواريخ مضادة للدروع ، وحتى سيارتكم
المصفحة ، لن تصمد أمام هذا

انتبه أحد الرجال إلى أمر لم ينتبه إليه قائده ، فاقترب منه ،
قاتلاً في توتر :

- سيدي .

صاح فيه قائده في حدة

- اصمت .

ولكن إحدى المذيعات انتبهت إلى الأمر نفسه ، فأسرعت تطلب من حامل الكاميرا التركيز عليه ، وإظهاره في وضوح ، في حين بدا كأن باب السيارة الأيسر يفتح ، فالتجهدت كل آلات التصوير وعدسات المصورين نحوه ، في حين تحفز رجال الكوماندوز بأسلحتهم ، وتوتر قائدهم بشدة .

وهبط من السيارة ثلاثة ..

امرأة ورجلان

وبكر دهشة الدنيا ، حدق قائد الكوماندوز في الثلاثة ، قبل أن يهتف :

- ولكنكم لستم .

قاطعها البدين في غضب :

- لسلما ماذا يا رجل ؟! . ألا تدرك كم قاتونا اخترقنا وتجاوزت ، بما فعلته معنا ؟!

هتفت المذيعة في حماس :

- أنتم دبلوماسيون ، وليكم حصانة . أليس كذلك ؟!

انتبه قائد الكوماندوز ، في هذه اللحظة فقط ، إلى ما انتبه إليه رجله منذ قليل ، وحاول أن يخبره به ..

انتبه إلى الأرقام الدبلوماسية . في مقدمة السيارة .

وبكل توقره ، غمغم :

- ولكنكم كنتم تفرون من المكان

قالت المرأة في غضب :

- ماذا تفعل لو انت في موضعا ، ووجدت نفسك فجأة تدخل

منطقة قتال . تدوى فيها الانفجارات والرصاصات ، بأكثر مما يحدث في الحروب العنيفة .

قال في عصبية :

- السيارة مصفحة .

هتف به الرجل الآخر في حدة :

- إنها سيارة تنقل السفير وكبار الدبلوماسيين ، في زمن ساد فيه الإرهاب ، فلماذا تتوقع ؟!

أمسقط في يد الرجل ، ونم يدر ماذا يفعل ، وكاميرات الإعلام والصحافة تتابعه على هذا النحو .

لقد فهم اللعبة جيدا .

إنها خطة معدة مسبقا ..

خطة لإثارة أكبر قدر من التوتر واللبلة ، ثم استغلال هذا الجنب
الجميع خلف بدلاء ، لهم سمات جسدية مشابهة : لتتاح الفرصة
للآخرين للهروب ، والابتعاد عن المكان

والمطلوب منه الآن أن يعتذر للدبلوماسيين الثلاثة ، ويبرر
موقفه أمام رجال الصحافة والإعلام ..

أو يتحمل الفضيحة ..

وحده

في نفس اللحظة ، التي كان قائد الكوماندوز يبحث فيها عن وسيلة
للتبرير ، كان رئيس أقوى دولة في العالم يستقبل (راعول) في
مكتبه ، وهو يقول في عصبية :

- ماذا تريد هذه المرة أيها الإسرائيلي ؟

أجابه (راعول) في هدوء :

- أن توقف هذا القتال

سأله في دهشة :

- أي قتال ؟

أجابه في صرامة

- القتال الذي أشعلتموه ، للظفر بذلك المصري .

تفجرت دهشة عارمة في كيان الرئيس الأمريكي ، وهو يقول :

- ولكنك أنت الذي طلب من قبل أن

قاطع (راعول) في صرامة شديدة .

- قلت : أوقفه .

احتقن وجه الرئيس الأمريكي ، وتعلكه غضب شديد ، وهو يقول :

- اسمع أيها الإسرائيلي ، لو أنكم تعلمون بما فعلته في مرحلة

شبابي . فهذا لا يمنحكم الحق في أن تتعاملوا مع رئيس أقوى دولة

في العالم على هذا النحو .

هوجى بالإسرائيلي بندفع نحوه ، وينقض عليه ، فقفزت يده

إلى زر استدعاء حراسه الخاصة ، وهو يهتف :

- كيف ؟ ..

هوجى بالرجل يمسك معصمه ، في قوة شديدة ، جعلته يترس سؤاله :

ليطلق آهة ألم ، قبل أن يقول (راعول) ، في صوت صارم للغاية :

- اصمت واستمع إليّ جيداً ، قبل أن تخسر حياتك نفسها .

واتسعت عينا الرئيس الأمريكي عن آخرهما ، وهو يحدث في

(راعول) ، بكل الرعب والذهول ..

وفجأة ، انتبه إلى ما فاتته ..

لنتبه إلى الكتفين القويين ، والجسد الممشوق ، وفارق الطول ..
والعينين ..

العينين الشبيهتين بعيني أسد

عيسى (أدهم)

(أدهم صبرى) ..

داخل المكتب البيضاوى .

مباشرة ..

« مستحيل ! .. »

هاتف الكولونيل (سميث) بالكلمة فى دهشة بالغه امتزجت
بتوتر لا محدود ، فلوح رئيسه (مولر) بيده ، قاتلاً .

- هذا ما يحويه آخر تقرير وصلنى منذ لحظة

هاتف (سميث) فى استنكار .

- فرّ منهم ١٩ .. مرة أخرى فرّ منهم ١٩ . مستحيل ! . لقد حصروه
تماماً هذه المرة ، وكانت لديهم أوامر بالآلا يندفعوا خلف أى انفصال
طارئ

تنهّد (مولر) ، قاتلاً :

- هناك أمور تتفق فيها الطبيعة البشرية ، أب كانت هوية
صاحبها ، وهناك من يجيد التلاعب بهذه الطبيعة البشرية ، وتوجيهها
إلى حيث يريد ، بحيث يدفعك للقيام بما يراه مناسباً له ، وأنت
تتصور أنك تفعله لصالحك أنت

سأله (سميث) فى عصبية :

- ماذا ما حدث ١٩

أوما برأسه ، مجيئاً :

- بالضبط .

لحقن وجه (سميث) ، وهو يدور فى المكان فى عصبية شديدة ،
غير مصدق لما سمعه ..

أى رجل هذا ١٩ ..

دولة كاملة تسعى خلفه ، مع ثلاثة أجهزة مخبرات أخرى ،
ومنظمة إجرامية كاملة ، ولا أحد يستطيع الظفر به ١١

هذا مستحيل عملياً أو حتى نظرياً ١١ ..

مستحيل تماماً ! ..

لقد قرأ ملف (أدهم) كله ، أكثر من عشر مرات ، ولكنه لم يتخيل أنه بهذه البراعة أبداً ..

أبداً ..

أبداً .

كان حياته كله يرتجف ، من فرط الانفعال ، عندما انطلق رئيس هاتف (مولر) فجأة ، فالتفتض في عنف ، وهو يهتف :

.. ماذا هناك ؟

التقط (مولر) سماعة هاتفه ، وهو يقول له في صرامة :

.. اهدأ .

تطلع إليه (سميث) في توتر بالغ ، في حين تحدث (مولر) عبر الهاتف ، قائلاً في حزم :

.. أنت قائد حراسة السيد الرئيس ؟ .. هم يمكنني ان احدثك .

جذبت هذه العبارة انتباه واهتمام (سميث) في شدة ، حين اعتدل (مولر) بحركة شديدة التوتر ، وهو يسأل قائد الحراسة في قلبي بالغ .

.. وما الذي أثار شكوكك إلى هذا الحد ؟

أجابته قائد الحراسة عبر الهاتف :

.. كاميرات المتابعة متوقفة ، منذ بدأ لقاء الرئيس بذلك الإسرائيلي ، الذي حذرتني وزيرة الخارجية منه ، ولقد سمعت ما بدا لي أشبه بالتأوهات من الداخل ، وكنتي أحتج إلى أوامر ، لأقتحم مكتب الرئيس ، بعد أن أغلق هو جهاز الاتصال الداخلي عمداً ، ولقد تصورت لكم الجهة ، التي يمكنها منحى مثل هذه الأوامر .

تسعت عينا (مولر) ، على نحو جعل (سميث) يسأله في توتر :

.. ماذا هناك ؟

رفع (مولر) عينيه إليه ، قائلاً في ذهول :

.. لقد جرو .

هتف به (سميث) :

.. جرو على ماذا ؟ .. ومن هو ؟

كتم (مولر) سماعة الهاتف بيده ، وهو يجيب في عصبية :

.. ذلك الرجل .. إنه في مكتب الرئيس .

تسعت عينا (سميث) ، وهو يقول بكل ذهول الدنيا :

.. ماذا ؟

ثم استدار دون مناقشة ، واندفع خارج المكتب ، فى حين عاد (مولر) إلى الهاتف ، وقال لقائد الحراسة ، بكل صرامة الدنيا :

- افعلها يا رجل . افعلها .

سأله قائد الحراسة فى لهفة :

- وماذا لو كانت شكوى صحيحة ؟

اعتدل (مولر) على مكتبه ، وقال بلهجة أمر صارمة :

- أطلق النار فوراً يا رجل .. هل سمعتنى . فوراً ؟

وأنهى المحادثة ، وعيناه تلتصقان .

فى شدة .

3- أرض المعركة ..

مطّ الجنرال (ماليكوف) شفتيه فى غضب وسخط شديدين ، وهو يراجع تلك التقرير ، الذى قدمه له رجله (فيدور) ، وقال فى حدة :

- ما الذى يعنيه هذا بالنص ؟ (أبل كوربوف) ابتاع معدات

وأجهزة علمية بأكثر من مليون دولار ، ونقلها على أسطول من

الطائرات الخاصة إلى جهة مجهولة .. أى تقرير سخيف هذا ،

تقدمه جهة ، يفترض فيها أقوى سلاح معلومات فى الدولة ؟

أجابته (فيدور) فى توتر :

- هذا كل ما أمكنهم التوصل إليه ياسيدى ، فرجال (كوربوف)

كانوا يتحركون فى شراسة شديدة ، ويحاصرون كل منطقة يتم

للشراء منها ، ولقد دفعوا ضعف الثمن الفعلى لتلك الأجهزة ، مقابل

الحصول عليها فوراً .

ألقى (ماليكوف) التقرير فى وجهه ، هاتفاً :

- نتحدث عن أجهزة ومعدات فى حجم أسطول من السيارات ،

ونقول إنه تم نقلها دون أن نستطيع تتبعها

قال (فيدور) ، وتوتره يتزايد :

- لقد نقلوها إلى سيارات نقل خاصة ، تطلعت بهم إلى ضيقه ،
المحاطة بالأسوار السميكة ، وأجهزة المراقبة ، ثم فوجئنا بالطفرات
تنطلق من هناك .

وارتبك في شدة ، وهو يقول :

- لم تكن تعرف حتى إنه يمتلك مطاراً خاصاً هناك .. في قلب
ضيقه .

صرخ فيه (ماليكوف) :

- لم تكونوا تعرفون ؟! .. أهذا ما يمكن أن يقوله ماجور في
المخابرات الروسية ؟! .. لا تعرفون ؟! .. ما وظيفتكم إذن ؟!
هل ما فلتدكم ؟! .. أى جهاز مخابرات فى العالم يعتمد على المعلومات ،
فكيف يكون عذره هو أنه لا يمتلك معلومات ؟!

غمغم فى ارتباك متضاعف :

- إننا نبذل قصارى جهد .

ضرب سطح مكتبه بقبضته ، صارخاً :

- من الواضح أن هذا لا يكفى

لم يحر (فيدور) جواباً ، عند هذه النقطة ، ووقف صامتاً محبطاً ،
لا يجرؤ على الكلام ، فى حين عابر الجنرال مكتبه ، ودار حوله فى
عصبية ، وهو يقول :

- كل هذا يؤكد ما لدى من معلومات هناك سلاح بالغ الخطورة ،
يتم إعداده فى مكان ما هنا . مكان مجهول فى (سيبيريا) ..

صمت لحظات فى توتر ملحوظ ، قبل أن يلتفت إلى (فيدور) ،
متسائلاً فى حدة :

- ألم يعد (بولانسكى) بعد ؟!

هز (فيدور) رأسه ، وانخفض صوته ، وهو يغمغم فى حذر :

- لمست أنه يعود .

كان (ماليكوف) وثقاً من هذا الجواب مسبقاً ، وعلى الرغم من
ذلك فقد اتعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول فى عصبية :

- من يدري ؟!

ظل صامتاً يفكر لحظات ، وكل خلجة من خلجاته توحى بالتوتر
الشديد ، قبل أن ينهض إلى مكتبه مرة أخرى ، ويقول وكأنه
يحدث (فيدور) :

- هذا أمر لا يمكن السكوت عليه .. أليس كذلك ؟!

تردد (فيدور) ، وهو يقول :

- اعتقد أن ...

بتر عبارته ، عندما لفتبه إلى أن الجنرال لا يسمعه ، وأنه إنما
لقى السؤال على نفسه وليس عليه ..

لفى تركيز شديد ، جلس الجنرال يحدق في ذلك الهاتف الخاص
على سطح مكتبه ، والذي يوصله بالرئيس الروسى مباشرة ، قبل
أن يحسم أمره ، ويلتقط سماعة الهاتف ، وهو يتقر بأصابعه على
سطح المكتب ، فى عصبية شديدة ، ولم يكذ يسمع صوت الرئيس ،
حتى قال فى توتر :

- سيادة الرئيس .. لدى أمر عاجل للغاية ، وشديد الخطورة
إلى أقصى حد ، ويحتاج إلى أن ألقى بك على وجه السرعة .

لم يعرف (فيدور) ما قاله الرئيس بالضبط ، ولكنه سمع الجنرال
يزمجر ، قبل أن يقول فى توتر بالغ :

- بل على أقصى وجه للسرعة يا سيادة الرئيس .. معدة ، ولكنك
رجل مخابرات سابق ، وتذكر جيداً ما يمكن أن يعنيه هذا القول

مرة أخرى لم يسمع (فيدور) حديث الرئيس ، ولكن فشعريرة
عجيبة سرت فى جسده ، عندما سمع الجنرال يقول فى صرامة

- بل أقصى من هذا يا سيادة الرئيس .. إنه أشبه بالحرب .

نعم ، قد احتج إلى تدخل المخابرات والدبابات .. بل ربما سلاح
الطيران أيضاً .. إنه ليس حتى مصير (روسيا) وحدها ، بل قد
يكون مصير العالم .. العالم أجمع .

ومرة أخرى ، ومع العبارة الأخيرة ، سرت القشعريرة نفسها
فى كيان (فيدور) كله ..

وعلى نحو أكثر عنفاً ..

لا يمكننا أبداً أن نطق على ما أصاب الرئيس الأمريكى داخل
مكتبه لسم الذهول ..

الرقع أنه كان شيئاً يفوق كل هذا كثيراً ..

فما تصور أنه مستحيل ، وما أكدته أنه مستشارته السابقة
للأمن القومى ، والتي أشرفت بنفسها على تأمين البيت الأبيض

قد أصبح حقيقة واقعية أمام عينيه ، اللتين اتسعت على نحو
عجيب ، حتى بدا أشبه برسم من الرسوم الهزلية المتحركة . منه
برئيس أقوى دولة فى العالم ..

لقد لطفاً كل وسئل الأمن ، عندما استقبل من ظن أنه (راعول) ،
حتى لا تصبح هناك أية وثيقة على ما يتحدثان فيه ، وما هو ذا
الآن وحده ، داخل مكتبه المؤمن ، فى مواجهة أكثر من هزل
الكيان الأمريكى كله ..

أمام (فهم) .. (لاهم صبرى) ..

« إنك لن تقتلني .. ملفك يقول : إنك لا تقتل . »

قالها الرئيس بصوت ارتجف كل حرف من حروفه ، فقال
(أدهم) بكل الصرامة :

- إن لم تضطرنى لهذا .

حدق الرئيس فى عينيه الشبيهتين بعيني الأسد ، قبل أن يسأله
بصوت مختلق :

- ماذا تريد منى ؟

- لقد أخبرتك ماذا أريد .

هز رأسه هاتفاً بصوت منهار :

- لا يمكننى أن أصدر أمراً بوقف مطاردتك .. لا يمكنك أن تصور
ماذا يمكن أن يحدث عندئذ .

مل (أدهم) نحوه أكثر ، وهو يقول :

- سيكشفون فضيحتك الدراسية ، لا من ذلك ؟

بدأ كأن اتساع عيني الرئيس قد لنهم وجهه كله ، وهو يقول :

- هل تعرف بأمرها ؟

أجابه (أدهم) فى بطء :

- بكل لحظة منها .

ثم أضاف بلهجة مخيفة

- ولمنتك للدليل أيضاً .

زأغت عينا الرئيس ، ودارتا فى محجريهما ، وهو يقول :

- كيف ؟ كيف نجحت فى الوصول إلى هنا ؟

أجابه (أدهم) فى صرامة :

- أنت دعوتنى للقنوم ، ورجلك تأكدوا من أننى لا أحمل سلاحاً .

ولكنهم لم يحاولوا استخدام ذلك الجهاز السخيف ، للتأكد من
ملاحى ، فقط لأنك أخبرتهم أنك تنتظرنى .

ارتجف صوت الرئيس ، وهو يقول :

- ولكن وجه (راعول) .

ارتسمت لبتامة ساخرة ، على ركن شفتى (أدهم) ، وهو يقول ،
دون أن يفقد صرامته :

- لقد أفقدت هذا الحقير وعيه هناك ، فى قلب سفارته ، وكان
لدى الوقت الكافى لأصنع قناعاً يمثّل وجهه القبيح .

بدا الرئيس الأمريكى - الذى يتباهى بقوة بلاده - أقرب إلى
الانهيار ، وهو يقول فى خفوت شديد :

- مستشارة الأمن القومى أخبرتنى أنك لقيت مصرعك .

ابتسم (أدهم) تلك الابتسامة الساخرة مرة أخرى ، وهو يقول .

- أتقصد مستشارتك السابقة ؟! . وهل صدقتها ، بعدما حدث
هناك فى (العراق) ؟!

كان الرئيس بهم يقول شىء ما ، عندما اعتدل (أدهم) فجأة ،
وأرّاهف سمعه فى شدة ، ثم قال فجأة فى صرامة شديدة :

- كن طبيعيًا .

ثم دفعه إلى مقعده ، مضيقًا بنهجة قاسية .

- وإلا .

قبل حتى أن ينطق كلمته الأخيرة ، اقتحم أحد الحراسه مكتب
الرئيس ..

مع كل رجاله وكل أسلحتهم ..

بلا استثناء ..

ثم يكد السيد (حسن) يصل إلى مطر (واشنطن) ، فى الدقائق
الأولى من فجر ، بجواز سفره الدبلوماسى ، وأوراقه التى تشير
إلى أنه فى مهمة دبلوماسية عاجلة . وتطالب الجميع بتسهيل حركته ،
حتى أنهى إجراءات وصوله فى لحظات ، واستقبله أحد رجال
المخابرات من مكتب (واشنطن) خرج المطر ، والتقط منه حقيبته
الوحيدة ، والسيد (حسن) يسأله فى هدوء :

- كيف سارت الأمور ؟!

حمل صوت رجل المخابرات رنة فخر وتقدير ، وهو يجيب :

- كما خططت لها تمامًا بسببى . حفيدك مستقر لدينا فى مبنى
السفارة ، وتم استخراج جواز سفر دبلوماسى له ، بناءً على أوامر
(القاهرة) ، وسيصافى بإذن الله (سبحانه وتعالى) على متن طائرة
للتاسعة صباحًا ، ليصل عبر (أوروبا) إلى (القاهرة) مساء اليوم
نفسه ، بتوقيت (مصر) .

غمغم (حسن) :

- حمدًا لله .

ثم تساءل فى اهتمام بالغ :

- وماذا عن الباقيين ؟!

أجاب الرجل ، وهو يضع الحقيبة فى السيارة :

- خطتك انشرت جيداً ، واشتمل رجال الكوماندوز بالفريق البديل الذى أرسلته ، ووجد سيادة العميد ، والمقدم (منى) والسيد (قدرى) الفرصة للخروج وتجاوز الموقف فى أمان

سأله (حسن) ، وهو يدلف إلى السيارة :

- وأين هم الآن ؟

صمت الرجل لحظات ، ثم انطلق بالسيارة ، وهو يجيب :

- لا أحد يدرى .

هتف (حسن) مستنكراً :

- لا أحد ماذا ؟

أجاب الرجل فى سرعة :

- هذا ما أصر عليه سيادة العميد (أدهم) يا سيدي ؛ فهو يؤمن بأنه كلما قل عدد من يعرفون التفاصيل ، تزداد نسبة الأمن .

اتعقد حاجباً (حسن) ، وهو يقول :

- هذا صحيح .

صمت لحظات مفكراً فى عمق ، واحترم رجل المخابرات صمته ، فلاد بالصمت التام طويلاً ، حتى اعتدل (حسن) ، والهجوم ما زالت تملأ وجهه ، وقال فى حسم :

- أريد قائمة بمطارات لتريب الخاصة حول (واشنطن) ، وأرسل من يستأجر طائرة صغيرة ، بأوراق تخص هوية فرنسية أو بريطانية .

لم يحاول الرجل سؤاله عن هدفه من هذا ، وفقاً لقاعدة المخابرات الذهبية : المعرفة قدر الحاجة ، وإنما انتهى بأن يقول :

- فوراً يا سيدي .

التقط (حسن) نفساً عميقاً وهو يقول :

- لا بد أن نكون مستعدين .. طوال الوقت .

ومرة أخرى ، لم يحاول الرجل سؤاله ..

فقط انطلق بالسيارة نحو السفارة المصرية

مباشرة ..

عندما التحم قائد الحراسة ورجاله مكتب الرئيس الأمريكى ، كان هذا الأخير يجلس خلف مكتبه ، و(أدهم) فى هيئة (راعول) ، يقف أمامه هادئاً ، عاكفاً كفيه خلف ظهره ..

ومع نزاعه الواضح ، بدأ النعال الرئيس طبعياً ، وهو يهتف فى وجه قائد الحراسة فى حدة :

- ماذا تفعل يا رجل ؟

هتف قائد الحراسة ، وهو يصوب سلاحه نحو (أدهم) .

- هذا الرجل .

التفت إليه (أدهم) فى هدوء صارم ، وتحدث واضح ، والرئيس
يهتف بنفس الحدة :

- ماذا عنه ؟

أضاف (أدهم) فى صرامة متجددة :

- نعم ؟ ماذا عنه ؟

التفت إليه الرئيس بحركة حادة ، ثم عاد يلتفت إلى قائد
الحراسة ، وفى رأسه تشتعل أفكار متعارضة .

إليه رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، وداخل مكتبه البيضاوى
فى البيت الأبيض ، وهذا الذى يقف بقلب فقد حراسة ، ومعه طاقمه
كله ، مدججين بالسلاح ، وأمامه ذلك المصرى ، الذى يسعى
قواته كلها خلفه ..

وبإشارة واحدة من يده ، سينقض الجميع عليه

ومهما كانت قوته ومهارته ، فلن يمكنه الصمود أمام كل هذا
العدد ..

سيسقط فى أيديهم حتماً .

وتنتهى المشكلة ..

أو تبدأ .

فالرجل يمكن أن يفضح قصته القاسية ..
وبالأثلة ..

وهذا عيب النظام للديمقراطى ..

الفضيحة ستنتشر فى كل الصحف ، وستتناولها أقلام
الصحفيين والكتاب ، وسيمزقه المجتمع إرباً ..

دون رحمة ..

أو شفقة ..

أو هوانة ..

وحتماً سيجهرونه على الاستقالة ..

وتنتهى حياته السياسية بفضيحة ، تلازمه طيلة ما تبقى له من
العمر ..

إلا إذا ؟

« سيدى الرئيس .. »

قالها قائد الحراسة فى ترقب متوتر ، وكأنه ينتظر أوامره ،
فالتفت إليه الرئيس ، وقد حسم أمره ، وهتف فجأة :

- أطلقوا النار .

ودوت الرصاصات ..

فى البيت الأبيض ..

بكل توتر الدنيا ، راح (كوربوف) يتحرك فى مكتبه الخالص ،
ومساعدته (جوركى) يتابعه فى صمت ، دون أن يجروا على النفوس
بحرف واحد ، حتى توقف (كوربوف) فجأة ، وهتف فى سخط :

- كيف ؟

تساعل (جوركى) فى حذر :

- كيف ماذا أيها الزعيم ؟

صاح به :

- كيف يمكن الوصول إلى تلك المعادلة الناقصة ؟ .. ذلك البرسمج
الصفير ، الذى ينقض ، لتشغيل هذا السلاح .. كيف ؟

هدت الحيرة على وجه (جوركى) ، وهو يقول فى حذر :

- يمكننا اختطاف أحد العاملين عليها ، وإجباره على البوح
بمكاتها .

سأله فى حدة :

- ومن العاملين عليها أيها العبقري ؟

تراجع (جوركى) خطوة ، وارتيك فى شدة ، وهو يغمغم :

- ومن لأرتقى ؟

كان (كوربوف) يهزم بالسيف فى وجهه ، عندما تلف أحد
رجاله إلى المكان ، قتلًا فى حشوة تلقائية :

- ذلك العالم اطب مفاصلك على وجه السرعة أيها الزعيم .

سأله (كوربوف) فى حدة :

- ماذا يريد ؟

ص (يورى) من خلفه ، يقول فى انفعال :

- توصلت إلى طريقة .

سأله (كوربوف) بكل اللهفة :

- لتشغيل للجهاز ؟

لوح (يورى) بيده ، قائلاً :

- بل للحصول على المعادلة الناقصة ..

اعتدل (جوركى) فى وقفته بحركة حادة ، فى حين هتف
(كوربوف) لى لهفة أكثر وانفعال أكبر :

- كيف ؟

تجاوز (يوري) ذلك الرجل الخشن ، وهو يقول في حماس :
- من الباب الخلفي .

بدا من الواضح أن أحدا لم يفهم عبارته ، لذا فقد تبع (يوري) :
- كل عالم . عندما يصمم برنامجا ما ، يضيف إليه بابا خلفيا ..
لمحة ما ، يمكنه من خلالها دخول البرنامج ، مهما تمت حمايته
وتأمينه .

سأله (كوروبوف) في عصبية :

- وهم يفيدنا هذا ؟

مال (يوري) نحوه ، وابتسم في ثقة خبيثة ، وهو يقول :
- لقد توصلت إلى ذلك الباب الخلفي .

لم يفهم (كوروبوف) هذا أيضا ، فقال في حذر متوتر
- أسيسعدك هذا على تجاوز تلك المعادلة الناقصة ؟

هز (يوري) رأسه نفيا ، وهو يجيب :
- كلا .

اتفق حاجبا (كوروبوف) في عصب ، ولكن (يوري) استترك
في سرعة :

- ولكنني عرفت من يملكها .

ارتفع حاجبا (كوروبوف) ، وعينه - ألقان في لهفة ، فتابع
(يوري) في حسم وحماس :

- لقد وضع توقيعه على بر .. مه ، وأضاف رمزا خاصا ،
سبق لي أن تعاملت معه ، وأعرف صاحبه جيدا

سأله (جوركي) هذه المرة ، وهو يستن مسدسه ، على نحو
لم يناسب أي شيء من الموقف :

- ومن هو ؟

- (يوري) ، وتألقت عيناه وهو يجيب

- (إيفان) .. (إيفان توركنيف) .

وتألقت عيناه (كوروبوف) في شدة ..

لقد صارت السيطرة على العالم قاب قوسين

أو أدنى ..

« لا يمكننا أن نضيع لحظة واحدة .. »

قلها (راعول) في منتهى التوتر ، وهو يتحدث إلى رئيسه ، عبر

الخاصة في السفارة ، فقال رئيسه في غضب :

- جمالك أضاعت أكثر مما يمكن أن تفقد .

قال (راعول) فى عصبية :

- وما الخطأ الذى ارتكبته . ذلك الشيطان كان يحفظ تخطيط مبنى سفارتك عن ظهر قلب كما قال ، وحتى هذه اللحظة ما زال طاقم أمننا يحاول معرفة كيف دخل إلى هنا ، متجاوزاً كل وسائل التأمين ، التقليدية والإلكترونية .

قال رئيسه فى حدة :

- ولكنه دخل ، وعرف كل ما نعرفه .

أجابه (راعول) ، فى صرامة عصبية :

- لهذا لا ينبغي أن نضيع لحظة واحدة . -د أن أنطلق فوراً .

سأله فى حدة :

- أنت أين ؟

اعتدل (راعول) ، وهو يقول فى حزم :

- (سييريا) .

سأله رئيسه فى توتر :

- ألم تحسم تفاوض . مع تلك الوغد (كولون) ؟

أجابه فى توتر :

- (كوريوف) اسمه الجديد (كوريوف) ، وربما كان وغداً حق . ولكنه ما زال يضع يده على أقوى سلاح على الأرض "سلاح اسر على دفعا إلى قمة العالم السلاح الذى نستطيع بوساطته سحق العرب جميعهم ، وامتلاك المنطقة . بل الأرض كلها . ثم انعقد حاجباه بمنتهى الصرامة والحزم . مضيفاً - ولا بد أن أحسم الأمور معه ، قبل أن يسقط السلاح فى يد أخرى .

غمغم رئيسه فى عصبية :

- يد أخرى ؟

أجابه فى شيء من الصرامة ، لا يتفق مع فارق الرتب بينهم :

- نعم ، يد (سونيا) .. (سونيا جراهام) ،

ومع سماعه الاسم ، لم يملك رئيسه أن يمنع تلك القشعريرة
الباردة ، التي سرت في جسده

في كل ذرة منه .

قلوب امتلكت (سونيا) ذلك السلاح ، فستكون لحظة النهاية .
لهيئة العالم .
كله .

4- المستحيل ..

التمعت عينا (سونيا جراسم) على نحو عجيب ، وهي تتطلع
إلى الجنيد المحيط بها من كل جانب ، مع هبوط طائرة (كارولينا)
الحاصلة في ذلك المظهر السري ، في طرف (موسكو) البعيد .
لقد لاحت الخطأ ، حتى هذه اللحظة ..

سلطة ونفوذ واتصالات (دون كارولينا) ، ساعدتها على تجاوز
كل صعوبات الأمنية ، والفرار من الولايات المتحدة الأمريكية ،
تحت جناح الظلام .

الرشوة للهائلة التي بفضها ، جعلت كل شيء يسير على مايرام ..
وها هي ذى هنا ..

في (روسيا) ..

أرض المعركة الرئيسية ..

(روسيا) ، حيث وكرها السري ، الذي قضت ثلاث سنوات كاملة
لإنشائه ، الذي يحوى سلاحها ، الذي تجتمعت الكثير والكثير
للفوز به ..

نماء غزيرة أراقنها ..

أموال طائلة أنفقتها ..

ذمم عديدة اشتهرتها ..

تنظيمات كثيرة حطمتها ..

ثم حصنت عليه ..

امتلكت السلاح ، انذى ابتكرته قريحة علماء روس وأمريكيين
وبريطانيين ، ويابانيين وغيرهم ..

بوساطته سيطر على العالم ..

العالم كله ..

« وصلنا يا زعيمى .. »

قالتها (نيا) فى لهجة تحمل نبرة خبيثة ، جعلت (سونيا) تقطع
أفكارها ، وتلتفت إليها فى برود ، قائلة :

« نعم .. وصلنا ،

ابتسمت (نيا) ابتسامة غير ذات معنى ، وهى تقول :

« هذا يذكرنى بالأيام الخوالى

رمقتها (سونيا) بنظرة نارية ، قائلة :

« حقاً ؟

تجاوزت (نيا) فحوى الكلمة ومغزاه وهى تقول :

« أما زلت تحتفظين بخطتك فى أعماقك ؟

أماحت (سونيا) بوجهها ، وهى تقول :

« هذا يضمن السرية التامة ،

قالت (نيا) فى خبث :

« وربما الفشل .

ارتدت إليها (سونيا) فى حركة حادة مفاجئة ، حتى إن (نيا)
حسناء احدثت على حين غرة ، لتفاجأ بأصابع (سونيا) حول
عنقها ، وتلك الأخيرة تقول فى شراسة شديدة :

« لو تحدثت مرة أخرى عن الفشل ، ستكون آخر مرة نتحدثين
فيها على الإطلاق .

كانت (نيا) تستطيع فى بساطة ، ومع مهارتها القتالية العالية ،
أن تحطم يد (سونيا) فى لحظة واحدة ، إلا أنها حتى لم تحاول هذا ،
وهى تقول بصوت مختنق :

« لن أفعل .

ظلت (سونيا) ترمقه بنظرة نارية غاضبة لحظات ، قبل أن
ترخي أصابعها على عنقها ، وهى تقول :

- حسناً تفعلين .

تنفست (تيا) الصعداء ، لأنها لم تضطر للدخول في قتال مع (سونيا) ، وغصفت :

- هل سنبداً فور الوصول ؟

أجابتها (سونيا) في صرامة :

- بل سنذهب أولاً للحصول على ما ينقصنا .

سألتها (تيا) في حذر :

- وماذا ينقصنا ؟

أجابتها في اقتضاب صارم :

- معادلة .

لم تفهم (تيا) ما يعنيه هذا ..

ولم تحاول أن تسأل ..

أبداً ..

★ ★ ★

مشكلة كل من تعاملو مع (سيم) ، عبر تاريخه الطويل ، هي أنهم اعتمدوا دوماً على فارق القوة ..

والقوة وحدها ..

كلهم واجهوه بأعداد كبيرة ، وأسلحة ضخمة ، ونحار مخيفة .

ولم يهزمه أحدهم بهذا ..

قط ..

ربما لأن كل هذا لا يخيف (أدهم) ..

لا يزعزع أعصابه ..

أو يشل تفكيره ..

أو حركته ..

فبمجرد أن صرخ الرئيس بعبارته ، وقبل حتى أن يضغط الرجال أزرعة أسلحتهم ، تحرك هو ..

وثب وثبة مذهشة ، تليق بفهد مصري أصيل ، وتجاوز المسافة التي تفصله عن مكتب الرئيس ، حتى قبل أن تنطلق الرصاصات ، التي ضلت طريقها في الهواء ، في نفس اللحظة التي هبط هو فيها بقدمه فوق سطح المكتب ، ثم انزلق عنه في خفة مذهشة ، ليدور حول الرئيس ، ويحيط عنقه بذراعه ، ثم يختطف قلعه من على سطح المكتب ، ويدفع سنه الذهبى نحو عنقه

وبسرعة ، دارت فوهات الأسلحة نحوه ، و ...
« توقفوا .. »

صرخ بها الرئيس وقائد حراسه فى ان واحد .
الأول نطقها بفرع رهيب ، والثانى بلهجة امرة قوية .
وتجمدت أصابع الرجال على أزرادة اسلحتهم
من المستحيل أن يواصلوا إطلاق النار . فى هذا الموقف !!
من المستحيل تمامًا أن يجازفوا بسلامة الرئيس .
رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ..

وتجمد الموقف لحظة ، والجميع عاجز عن اتخاذ قرار ما حتى
قال (أدهم) بكل صرامة الدنيا :
« ألقوا اسلحتكم .

قال قائد الحراسة فى عصبية :

« هل تتصور أن نطيع أمراً كهذا ؟ »

أجابته (أدهم) فى سخرية ، « هو يقتصر على الرئيس ، الذى
احتقن وجهه ، واكتسى بذعر هائل :

« بل أتصور أن تتركبنى حطم عنق رئيسكم .

هتف الرئيس بصوت مختلق :

« أطيعوه .

هم رجال الحراسة بإلقاء أسلحتهم ، لكن قائدهم أشار إليهم
بالاحتفاظ بها ، وهو يقول فى حدة

« لن تجرؤ .

هتف (أدهم) فى سخرية شديدة :

« حقاً ؟ ..! »

لمحده حاجباً قائد الحراسة فى شدة وتوتر .

يا له من قول أحمق ، ذلك الذى نطق به !! ..

لن يجرؤ !! ..

إنه يقف أمام الرجل الوحيد فى العالم ، الذى جرى على دخول
البيت الأبيض عنوة ..

ونجح فى هذا ..

يقف أمام رجل يمكنه أن يجرف على فعل أى شئ ..

وكل شئ ..

ثم إنها مسألة حياة أو موت ..

حياته ..

وهو شخصيًا ، لو أنه فى مكانه ، لما تردد عن فعل أى شىء
أى شىء على الإطلاق ..

« وكيف تتوقع أن تخرج من هنا ؟! .. »

ألقى قائد الحراسة ذلك السؤال فى عصبية ، حاول أن يدم فىها
شيئ من الصرامة ، ولكن توتره الشديدة أعجزه عن هذا ، وجعل
صوته يخرج مرتجفًا ، مما زاد من عصبية ، و (أدهم) بجيبه ، بذلك
اللهجة الساخرة المستفزة :

.. تمامًا كما دخلت .

ثم أردف بكل صرامة الدنيا :

.. والآن ، ألقوا أسلحتكم .

فى هذه المرة ، لم ينتظر طاقم الحراسة أوامر قائده ، وألقى
جميع أفراد أسلحتهم على الفور ، فى حين غمغم سركيس
بصوت يخنق :

.. لقد فعلوها ، أفلت عنقى .

سأله (أدهم) فى صرامة ،

.. هل ستستمع إليّ جيدًا ، حتى أكمل شرح ما بدأته .

هتف الرئيس :

.. أعدك .

أفلت (أدهم) عنقه قليلًا ، فلتفت الرئيس بنفس عميق ، وشهق
فى قوة ، وكأنما لا يتصور أنه قد نجا من هذا الشيطان المصرى ،
وغمغم قائد الحراسة ، فى عصبية أكثر :

.. مازال - شك فى مكانية خروجك من هنا

التفت إليه (أدهم) ، قائلاً :

.. ستؤدى لى التحية ، وأن أغادر بيتكم الأبيض .

هتف الرجل فى حدة :

.. أتحداك .

قال (أدهم) بمنتهى الصرامة :

.. ستؤديها .

ثم مال نحو الرئيس ، مستطردًا :

.. الواقع لئننى هنا لمصالح (أمريكا) .

التفت إليه الرئيس فى دهشة مستتكرة ، وبدأ استنكار واضح
على قائد حراسه ، ولكن (أدهم) أفلت عنق الرئيس تمامًا ، وسحب
القلم ذى السن الذهبية بعيدًا ، وهو يعتدل ، قائلاً .

- وأقسم على هذا بشرقي .

ألقى عبارته الأخيرة ، فساد المكتب البيضاءى كنه صمت رهيب ..

وتعلقت العيون كلها بالرجل ..

رجل المستحيل ..

هل تعنى هذه العبارة شيئاً ؟! ..

هل يعنى الشرف ما ينبغى ان يعنيه ، عند رجل مثله ؟!

هل ؟!

وعلى الرغم من أن جميع من بالحجرة يعتبرونه عا ، فقد وقر فى نفوسهم ، دون استثناء واحد ، جواب لا ثنى له .

نعم ، رجل مثله ، لابد أن يحترم الشرف

وبشدة ..

وعلى الرغم من انتمائه إلى معسكر آخر فلا يمكنك إلا أن تمنحه ثقتك .. ثقتك الكاملة ..

« ماذا لديك بالضبط ؟! .. »

نطقها الرئيس الأمريكى فى اهتمام شديد ، اختلط بتوتره ، فقال (أدهم) ، وهو يتجاهل رجال الحراسة صامت :

- الأمر بالغ المصرية يا سادة الرئيس ، ولابد أن نتحدث وحدنا .

رد الرئيس فى خوف :

- وحدنا ؟!

أجابه (أدهم) فى حزم :

- يمكنك استدعاء وزيرة خارجيتك ، ومدير مخبراتك ، فالحديث سيهمهما سماعه أيضاً .

قال قائد الحراسة فى محاولة ثانية لفشلة بلصرامة

- سيهرعون إلى هنا بعد لحظات ، مع دوى الرصاصات ، الذى ينطلق لأول مرة ، فى المكتب البيضاءى .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، ثلاثت فى سرعة ، مع لهجته الحازمة ، وهو يقول :

- خطأ المكتب البيضاءى مجهز بحيث يعزل الأصوات تماماً ، وموَّمن من الخارج بطبقة مزدوجة ، تمنع التنصت وانتقال الصوت ، وطلاؤه الحديث يثبت حتى نظم التنصت الليزرية المتطورة ، فلا تحاول التلاعب به .

وفي مبادرة مذهشة ، شديدة الجرأة والثقة ، ترك مكانه خلف الرئيس ، واتجه في خطوات هائلة قوية نحو قائد الحراسة ، حتى صار يقف أمامه مباشرة ، وتطلع إلى عينيه ، بالعينين التشبيهيتين بعيني أسد ، اللتين لبثن مزيجاً من الرهبة والخوف ، في نفس أشد الرجال بأساً ، وقال فجأة بصوت قوى ، ولهجة أمرة صارمة

- اذهب لهاستدعهما .. فوراً .

وفي حركة غريزية ، ومع تلك اللهجة العسكرية القوية ، أدى قائد الحراسة وطائمه التحية العسكرية ، فابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :

- ولم أغادر المكان بعد .

احتقن وجه قائد الحراسة في شدة ، وتملكه غضب شديد ، وهو يحدق في وجه (أدهم) ، ولكن الرئيس صاح فيه

- نفذ الأمر .

ثم أضاف في صوت أقل ، وهو يفتلس نظره قلقة إلى (أدهم) :

- واترك اثنين من رجالك هنا .

التفت إليه (أدهم) في هدوء . فانكمش في مقعده بحركة غريزية ، وهو يضيف :

- حتى تصل الوزيرة فحسب .

نقل قائد الحراسة بصره بينه وبين (أدهم) في سخط ، ثم أدى التحية العسكرية ، قائلاً :

- أمرك يا سيدي الرئيس .

ابتسم (أدهم) ابتسامة استغزت قائد الحراسة ، وجعلته يندفع مغادراً المكتب البيضاء ، تارك اثنين من رجاله داخله ، فالتفت (أدهم) إلى الرئيس الأمريكى ، وقال في احترام أجاد أدهم :

- قرار حكيم يا سيادة الرئيس .

ثم أضاف في لهجة ذات مغزى خاص :

- لصالح الولايات المتحدة الأمريكية .

وبحركة غريزية أيضاً ، انكمش الرئيس أكثر في مقعده ..

فما يحدث داخل مكتبه ، يتجاوز كل خيال ..

بل كل كابوس ..

إنه ، وقبل حدوثه بجزء من الثانية ، كان يدخل في نطاق المستحيل ..!

كل للمستحيل ..!

أو أكثر ..

« دونا (كلولينيا) .. »

همست الخادمة بالاسم في حذر شديد ، وهي تكخل حجرة (دونا)
على أطراف أصابعها ، فأجابتها (دونا) ، وهي راكدة على فراشها :
- ماذا تريدين ؟

تنفست الخادمة الصعداء ، وهي تقول في ارتياح :

- خشيت أن تكوني نائمة .

غمفت (دونا) في عصبية :

- من ينام في مثل هذه الظروف ؟

قالتها ، واعتذلت جالسة على طرف فراشها ، في ثوب نومها
الوردي اللين ، والتقطت فور اعتدالها سيجارة ملوثة ، إذ علتها
بقذاحتها الخاصة ، ونفثت دخانها وهي تقول في شيء من سخط ،
لامبرر له :

- ماذا هناك ؟

أجابتها الخادمة في خفوت ، وكلتها تخشى أن تزد من مسقطها :

- رجل المخابرات الأمريكية يريد شيء رؤيتك .

انعقد حاجبا (دونا) ، وهي تقول في توتر :

- في هذه الساعة ؟

لربكت الخادمة ، وهي تقول :

- لقد استكرت هذا عندما أتى ، ورفضت أن أوقظك ، ولكنه قال :
إن الأمر ...

قاطعتها (دونا) ، وهي تهض بحركة حادة -

- سلمتقبله .

مضت نصف الساعة على قولها هذا ، عندما استقبلته في مكتبها ،
في كامل ريناء ، وهو يقول في عصبية :

- أي تصرف هذا يا (دونا) . أطلب مقبلك على وجه السرعة ،
فتأتينني بعد نصف الساعة ؟

أجابته في برود صارم :

- هذا ما أعنيه بوجه السرعة .

ثم تراجعت في مقعدها ، ونفثت دخان سيجارتها ، قائلة

- ماذا تريد ؟

اقترب منها ، وهو يسألها في غضب :

- أين (سونيا جراهام) ؟

قالت في برود :

- ومن (سونيا جراهام) هذه ؟

أجابها في صرامة :

- جوابك هذا دليل إدانة يا (دونا) ، فربما لم يجمعك لقاء ما
- (سوليا) ، أما أن تجهلى من هي ، فهذا هو المستحيل بعينه ،
مع زعيمة كبيرة مثلك .

زمجرت ، قائلة في شراسة :

- اختصر .

صمت لحظات ، وهو يتطلع إليها في غضب ، ثم لوى بذراعه ،
وتحرك في المكان في عصبية ، قائلاً .

- (سونيا جراهام) نجحت في الفرار من سجنها الخاص في
الأطلنطي ، بمعاونة جهة قوية .

قالت بلطس النيرود :

- وأنت تتصور أنني هذه الجهة .

قال في صرامة :

- لست أتصور .

ثم التفت إليها في صرامة أكثر ، مضيفاً .

- أأنا وأنتي .

سألته في عصبية ، حاولت أن تحقير خلف سخرية زائفة :

- وما لديك على هذه الثقة - أيها المتحلق ؟

أجابها في تحد :

- شاهد عيان .

تعتقد حادثة الحيلان ، وهي تتطلع إليه في شك ، وهو يردف :

- عندما قدم رجالك سجننا الخاص ، وقتلوا كل من فيه ،
ليروا لك اللقطة المتوحشة ، تركوا خلفهم شاهد ، لم ينكبهوا
بإيه من فرط رغبتهم في إتمام العملية بالسرعة اللازمة ، قبل
صول قوات الإمداد .

ثم مال نحوها ، مضيفاً في صرامة :

- الملائم (جون لارك) .

صمت لحظات ، وهي تتطلع إليه ، محاولة أن تستشف ما يخفيه
خلف صرامته هذه ، وبإذا كان صادقاً في أمر وجود هذا الشاهد ،
أم إنها مجرد محاولة لخداعها ، ودفعها إلى الاعتراف ؟

وكحل وسط ، قالت ، مرتدية قدح الصرامة :

- أقصّر أن من يقومون بأمر بالغ للجرأة كهذا ، سيرتدون أكتعة
تخفي وجوههم على الأقل .

أجابها (سميث) بنفس الصرامة :

- ولكنهم كانوا يتحدثون الإيطالية ، وترأسهم فتاة . تمكك نفس مواصفات الصينية (تيا) .

غمغمت (دونا) ، وهي تبذل جهداً حرافياً لتخفي توترها :

- (تيا) ١٩

أجابها في حزم :

- نعم ، (تيا) .. تلك الفتاة الصينية الحسنة ، التي أرشدتنا إلى (سونيا) من قبل ، والتي رصد رجائنا لقاءك بها ثلاث مرات على الأقل ، خلال الأيام القليلة الماضية .

تعطد حاجبها في شدة ، وأطلقت سيجارتها في حدة ، وهي تقول بمنتهى الغضب :

- هل تراقبوننى ١٩

كانت تتوقع منه أن ينفى ، أو حتى يحارر ، ولكنه عجاها بقوله للصراخ :

- بالتأكيد .

نظرت إليه في دهشة ، فتبع بنفس اللهجة :

- ماذا تتوقعين ؟ .. نحن رجال أم . وأنت زعيمة أكبر وأقوى منظمة إجرامية في العالم .

هتفت به :

- لا يمكنك إثبات هذا .

زمر ، قائلاً :

- ومن يحتاج إلى إثبات ١٩

سلا الصمت بينهما لحظات ، استوعبت خلالها تهديده في وضوح ، قبل أن تصاله في حدة :

- ماذا تريد يا (سميث) ١٩

أجابها في عصبية :

- أن أفهم .

تساءلت في حذر :

- تفهم ماذا ١٩

لوح بذراعه ، وهو يهتف في حدة :

- كل ما يحدث ..

أطلقت من عينيها الفاتنتين نظرة عصبية متسائلة ، جعلته يتابع :

- لقد أفسدت التحالف عمداً ، وتسببت في فشل الخطوة الدقيقة الوحيدة ، التي كان يمكنها التخلص من ذلك الشيطان المصري ، ثم تعاونت مع صينية موضع شك ، وساعدت (سونيا جراهام) على الفرار ، ورجائك سببوا أكبر فوضى في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية .

قالت في غضب :

- أعتبرني مسئولة عن فشلكم ؟!

صاح : وهو يلوح نحوها بسبابتة :

- أنت قسم أعظم منها .

وبدا شديد العصبية ، وهو يضيف :

- رجالي أبلغوني أن الفوضى تسود العاصمة أيضاً ، ولأول مرة في تاريخها ، دوت فيها القتل ، وأصيب سكانها برعب ما بعده رعب حتى البيت الأبيض نفسه ، تحدث فيه أمور لا ندر ما هيها بعد .. ماذا يحدث يا (دونا) ؟! ماذا يحدث منذ بدأت تلك الخطأ السخيفة .

غمغمت :

- حلت علينا اللعنة !

هتف مستنكراً :

- أي لعنة ؟!

مقلت نحوه ، وهي تقول في توتر ملحوظ :

- لعنة (أدهم صبرى) .

حدث فيها في دهشة مستنكرة ، قبل أن يلوح بذراعه كلها ، هاتفاً :

- أي سخف هذا يا (دونا) ؟!

قالت في انفعال :

- جمع ملفه ، وستترك أنه ليس سخفاً ، بل حقيقة . راجع تاريخه ، وستترك أن كل جهة سعت خلفه ، انتهت إلى الدمار . كل جهة . هتف :

- لأنهم يجهلون كيف يقاتلونه .

سألته في بطء مستفز :

- وأنت تعرف ؟!

تطلع إلى عينيها مباشرة في غضب ، قبل أن يقول في صرامة :

- لو أخبرتنى ما لديك ، فربما .

قاطعت في صرامة معاتلة :

- ربما ماذا ؟!

لم يجر جواباً ، وهو يواصل التطلع إليها في غضب ، ثم همّ بقول شيء ما ، عندما ارتفع رنين هاتفه الخاص فجأة . فالتقطه في سرعة ، وهو يقول :

- (سميت) .

اتخذ حجاباً في شدة ، وهو يستمع إلى محدثه ، قبل أن يرتفعاً في دهشة عارمة ، وهو يهتف :

- لماذا ؟

دفعها فضولها الشديد لأن تهتف به :

- ماذا هناك ؟

حدق فيها (سميت) دون جواب ..

فما يسمعه عبر الهاتف كان مذهلاً ..

بكل المقاييس .

5- خمسة شر ..

على الرغم من السنوات الطويلة التي قضتها (منى) في العمل مع (قبرى) ، لم تمتلك نفسها من الدهشة والانبهار ، وهي تتابع نصايحه الذهبية ، هر تعادل بكل السرعة والمهارة ، حتى إنها سألته .

- ماذا تصنع بالضبط ؟

أجابها ، دون أن يلتفت إليها :

- ما طلبه (أدهم) .

سألته :

- وما هو ؟

اعتدل . ودفع ما يصنعه أمامها ، وهو يجيب .

- هذا .

حدقت في البطاقات التي أمامها ، قبل أن تقول

- ولكنها هويات روسية .

أجابها في زهو :

- بالفعل .

سأنته في قلبي :

- أيعنى هذا أننا ؟ ..

قاطعها مبتسماً :

- بالضبط .

صمتت لحظات ، محدقة فيما أمامها ، قبل أن تقول :

- ولكن كيف ؟

قال وهو يعود عمله :

- أنت تعرفين (أدهم) .

- بالطبع .

ابتسم ، قائلاً :

- سيجد وسيلة .

صمتت لحظات أخرى ، قبل أن تفهم :

- هذا ما يلعبه دائماً .

قالتها ، واتجهت نحو نافذة سك الحزل الآمن الجديد ، وتطلعت

إلى الشارع عبر ستارته العاكسة . قبل أن تتساعل في توتر :

- هل تعتقد أن هذا سيستمر ؟

ترك (قدرى) عمله ، والتفت إليه ، متسائلاً في قلبي :

- ماذا تعنين ؟

أجابته ، محاولة عدم الالتفات إليه ، حتى لا يرى تلك الدموع الساخنة ، التي تسالت من عينيها ، وراحت تجرى على وجنتيها ، متجهة نحو شفطيها المرتجفتين :

- أعنى أنه ما من شيء في الوجود يمكن أن يستمر إلى الأبد ..

صحيح أنه ظل طفلة عمره يجد سبيلاً للخروج من أى مأزق ، وعنى الرغم من كثرة خصومه وقوتهم ، فهو مازال حياً حتى الآن ، أو هكذا فعنهم ، ولكن هذا لا يعنى أن الأمور يمكن أن تستمر على هذا النحو إلى الأبد . أنت تعرف المثل القائل : دوام الحال من المحال .

والتفتت إليه ، مكمنة في بكاء ، لم تحاول إخفاءه :

- وكل شيء له نهاية .

شعر (قدرى) باتقبضة ثقيلة في قلبه ، وهو يترك عمله ، وينهض إليها ، قائلاً في ارتباك :

- (منى) .. ماذا بك يا عزيزتى ؟ لم أرك قط على هذا النحو من الأسى والحزن واليأس !! - لماذا كل هذا القلق البائس ؟ .. لقد واجهت مع (أدهم) ما هو أعنف وأشرس من هذا .

هزئت رأسها نفياً ، وهي تقول :

- ليس أشرس أو أعنف من هذا أبداً . إنه يخوض حرباً متفردة ،
في مواجهة العالم كله تقريباً ، كل أجهزة مخابراته ، ومنظماته
الإجرامية العظيمة .

وصمتت لحظة : لتضيف :

- ولكن هذا ليس السبب الحقيقي .

سألها ، وهو يمسك كتفها مشفقاً :

- وما السبب الحقيقي ؟

أجابته ودموعها تنساب أكثر :

- قلبي .

وقبل أن يضع تفسيراً رومانياً لكلمتها ، تابعت في حزن عذيب :

- قلبي يحدثني بأنها آخر مهمة ألتقى فيها به .

والفجرت باكياً ، وهي تضيف :

- ب (أدهم) .

كلمتها جعلت جسد (قدرى) المكنظ ينتفض كله في انفعال .

ففى قلبه هو ، كان هناك شعور مخيف بأنها على حق هذه المرة

إلى حد ما ..

« عرفنا أين نجد (توركنيف) .. »

نطق (جوركى) مساعد (أبل كوروبوف) العبارة فى جسم ، جعل
عينا هذا الأخير تتألقان فى ظفر ، وهو يقول :

- حقاً ؟

أجابه (جوركى) ، وهو يختلس النظر إلى (يورى ساندوفيتش) ،
الذى يتابع الحديث فى اهتمام كبير ، لم يرق له :

- إنه يعمل فى معمل خاص ، داخل مزرعة كبيرة ، خارج
(لينجراد) ، تمتلكها روسية ثرية ، تدعى (سوشا جريجورى) .

اتعقد حاجباً (كوروبوف) ، وهو يفهم فى تفكير :

- (سوشا جريجورى) . لم أسمع بهذا الاسم من قبل .

أشار (جوركى) بيده ، قائلًا :

- يقولون : إنها كانت تعيش فى (أوروبا) الشرقية ، حتى
سقوط الاتحاد السوفيتى ، ثم جاءت لتستثمر ثروتها هنا .

غمغم (كوربوف) ، وهو يفكر في عمق :

- ولم نعلم عنها شيئاً :

استغرق في التفكير لحظات ، ثم تساءل في صرامة .

- وماذا يفعل عالم مثله في مزرعة ؟!

تدخل (يوري) ، قائلاً في خبث :

- يستكمل تجاربه .

- حول ماذا ؟!

أجابته (يوري) في خبث أكثر :

- سلاحها .

رمقه (كوربوف) بنظرة وحشية غاضبة ، جعلته يستمر في سرعة :

- سلاحك أيها الزعيم .. سلاحك .

لم يرق (يوري) للمساعد (جوركي) أبداً ، لأن يدرى مبيهاً واضحاً لهذا ، ولكنه دفن هذا الشعور في أعماقه ، وهو يصال (كوربوف) :

- هل تحضره أيها الزعيم ؟!

أجابته (كوربوف) في شراسة :

- أليس رأيت آخر ؟

تراجع (جوركي) ، مغفلاً :

- كلاً أيها الزعيم .

ولكن (يوري) قال فجأة :

- أنا لست رأيت آخر .

تفحرت دغشة مستترة في وجوه الجميع ، في حين بدأ (كوربوف) ساخطاً ، وهو يسأله في غلظة :

- رأيت آخر ؟!

أجابته (يوري) ، وكأني لم ينتبه لذلك التأثير ، الذي تركته عبارته :

- بالطبع ، فما دام (توركنيف) يعمل داخل تلك المزرعة ، في مشروع شديد الخطورة كهذا ، فهو محاط بحراسة فائقة حتماً

قال (جوركي) في غلظة :

- نحن لها .

واصل (يوري) ، وكأني لم يسمعه :

ولو أتنى في مكان من يعمل لحسابهم ، فلن أسمح بوقوعه حياً في أيدي الآخرين أبداً .

قال (جوركى) فى غلظة أكثر :

- سنباغتهم ، قبل أن يتخذوا أى إجراء ، و ...

مرة أخرى واصل (يورى) حديثه مع (كوريوف) ، متجاهلاً (جوركى) تماماً ، ومقاطعاً إياه :

- ولاتخذت كل ما يلزم للقضاء عليه ، وعلى كل أبحاثه ، قبل أن يفيد منها شيئاً

تطلع إليه (كوريوف) لحظات فى صمت ، قبل أن يتراجع فى مقعده الكبير ، قائلاً :

- عجباً !.. لك عقلية تناسب واحداً منا ، بالكثير مما تناسب عالماً

أخفى (يورى) ابتسامته ، وهو يقول :

- أحاول التفكير بعقلية علمية فحسب .

غمغم (كوريوف) فى تنكير .

- ولقد أفلحت .

صمت بعدها لحظات ، وكأنها يحسب شيئاً ما ، فقال (جوركى)

فى غلظة طبيعية :

- هذا الأسلوب لا يناسبنا أيها الزعيم .

أشار إليه (كوريوف) بالصمت فى صرامة ، مما أورثه شعوراً قوياً بالسخط ، تضاعف ألف مرة ، وعند ما زعمه على (يورى) ، يسأله :

- وماذا تقترح بالضبط ؟

أجاب (يورى) فى رصانة :

- نسعه بدلائضام إلينا

بدت دهشة عرمة على وجه (جوركى) ، فى حين انعقد حاجب (كوريوف) فى شدة ، وهو يسأل :

- وكيف ؟

التمعت عيناً (يورى) على نحو عجيب ، وهو يقول :

- لادى خطة .

ومرة أخرى لم يشعر (جوركى) بالارتياح ..

لم يشعر به أبداً ..

مع التطورات المتلاحقة ، والنهاية العذبة ، التى انتهى بها الأمر ، لم يعلم أحد أبداً ماذا درس بالضبط ، داخل المكتب البيضاوى

للبيت الأبيض ، فى العاصمة الأمريكية (واشنطن) ، بين (أدهم صبرى) ، وأقطاب الإدارة الأمريكية ..

الرئيس ..

وزير الخارجية ..

ومدير المخابرات ..

ولكن من الواضح أن (أدهم) قد أثبت ، من خلال مفاوضاته معهم ، أن قدرته على الإقناع تفوق قدرته على القتال

ألف مرة ..

لوزير الخارجية تكره العرب ، بجميع فئاتهم ، كما لم تكره شيئا آخر فى حياتها كلها ..

ومدير المخابرات كان جزءاً من خطة كبرى ، تستهدف فقط .. على (أدهم) ..

والرئيس الأمريكى عانى منه شخصياً ، واستعرض أن يبغضه بشدة ..

وعلى الرغم من هذا فقد غلب (أدهم) مكتب الرئيس ، فى الساعة وست عشرة دقيقة بالضبط ، من صباح يوم التالى ، وصحبته وزيرة الخارجية حتى باب مكتب الرئيس ، وهى واضحة التوتر ، ولكنها ، وعلى الرغم من هذا صافحته قائلة :

- إننا نعتمد عليك .

غمغم فى هدوء :

- سأحاول .

أما مدير المخابرات ، فقد سار معه ، وهما يتحدثان فى خطوات ، مروراً برجال الحراسة الذين وقفوا فى احترام ، حتى مدخل البيت الأبيض . وهناك توقف ، وقال الرجل فى شيء من العصبية :

- لم أتصور قط ، أنه من الممكن أن أفعل هذا يوماً !

قال (أدهم) فى هدوء :

- ولأننا .

ونظر إلى عيني مدير المخابرات مباشرة ، وهو يضيف :

- من الناحية العملية ، مازلنا خصمين .

قال مدير المخابرات الأمريكى ، وهو يضغط على أسنانه فى غيظ :

- أعلم هذا ، ولكن مصلحة (أمريكا) تحتم أن نتعاون

قال (أدهم) فى صرامة :

- بل قل مصلحة العالم كله .

ثم أضاف : وهو يتركه منصرفاً :

- و (مصر) أولاً .

ضغط مدير المخابرات على أسنانه أكثر ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يتابعه ببصره فى سخط ، وسمع وريرة الخارجية من خلفه تقول فى غضب معاتل :

- هل تصدق ما حدث هنا منذ لحظات ؟!

غمغم :

- إننى أحاول .

كان (أدهم) قد بلغ تلك النقطة ، التى يقف عندها قائد الحراسة ، والذى اتخذ وقفة عسكرية صارمة ، وأدى التحية العسكرية فى قوة ، كما تقتضى التقاليد الرسمية ، فالتفت إليه (أدهم) ، وبصغ إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول فى لهجة ، تفوح برائحة السفريه :

- تجيد التحية العسكرية يا رجل .. استمر .

احتقن وجه قائد الحراسة فى شدة ، فى حين واصل (أدهم) طريقه ، إلى سيارة تنتظره على مسافة قريبة ، فغمغمت وزيرة الخارجية ساخطة :

- ألا تخشون أن يحول كس هذا لمصلحة بلاده ؟!

قتل فى بطنه :

- دعيه يؤدى مهمته أولاً .

والمقد حاجباه ، وهو يضيف فى صرامة :

- وبعدها سنتولى أمره .. ويعنف .

قالها ، وكلاهما يتبع سيارة (أدهم) ، وهى تبتعد :

وتبتعد .

وتبتعد ..

« مازلت عاجزاً عن تصديق هذا .. »

نطقها السيد (حسن) فى دهشة بالغة ، تمتزج بإعجاب وزهو شديدين ، وهو يتطلع إلى (أدهم) ، داخل مبنى السفارة المصرية ، فهتف (هشام) بكل الحماس والفرحة :

- بل صدقه .. السيد (أدهم) قادر على قهر المستحيل .. لا يمكنك

أن تتصور إمكانيته وقدراته وجراته .. لقد عاصرت كس هذا بنفسى

لتسعت ابتسامة السيد (حسن) ، وهو يقول :

- تأكد من أن روح والدك فخورة بك حقاً .

بدا تكثر واضح على وجه (أدهم) ، لم يستطع إخفاءه ، وهو يقول :
- ولكننى لم أثار لمقتله بعد .

ربت (حسن) على كتفه ، وقال فى تعاطف

- لم بعد هلاك مبرر لهذا .. لقد فعلت ما يساوى ألف قتيل رهيب .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حذر :

- ثم إن قاتل والدك يلقى انتقام المنتقم الجبار نفسه الآن .

رفع (أدهم) عينيه إليه فى حركة حادة ، هاتفاً :

- هل ..

أجاب (حسن) ، قبل أن يكمل سؤاله :

- نعم ، قضى نحبه بعد صراع عنيف مع مرض خبيث ، أنهم

جهازه العصبى كله ، مع آلام رهيبه ، لن تساوى شيئاً مع ما يلقاه
الآن هلاك .

قالها وهو يشير بسبابته إلى أعلى فأغمص (أدهم) عينيه ،

مغمفاً :

- سبحان الوهاب القهار .

إن صمت مهيب لحظات ، بعد عبرته هذه ، قبل أن يسأله
(حسن) فى حزم ، أراد به الخروج من الموقف .

- والآن ما الخطوة التالية ؟

شد (أدهم) قامته ، وكأب أعاد إليه السؤال طبيعة المقاتل
القديم ، ورجل المحبرات المخضرم ، وهو يجيب :

- (سيبريا) .

سأله (حسن) فى اهتمام :

- ولماذا (سيبريا) ؟

أشار بيده ، مجيباً :

لأن ما نبحث عنه هناك .

صمت (حسن) طويلاً ، ثم قال :

- وأنت تترك بالطبع ، أن كل ما واجهته حتى الآن ، قد لا يساوى
نصف ما يمكن أن تواجهه هناك . فى (روسيا) .

قال (أدهم) فى حزم :

- أعلم هذا .

ثم أضاف فى قوة :

- ولكنها (مصر) .

الطريقة التي نطق بها اسم الوطن ، أطلقت رجفة خاصة ، في أجساد كل الحاضرين ، وأغرقتهم ثوان في صمت مهيب ، قبل أن يقول (حسن) :

- إنه العالم كله هذه المرة .

شدّ (أدهم) قامته أكثر ، وهو يقول :

- و (مصر) أولاً .

مرة أخرى ، سرت تلك الرجفة في الأجساد ، و (هشام) يتساعل في خفوت :

- وكيف ستصل إليهم ، والروس لم يخرجوا من اللعبة بعد ؟؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

- بالطرق الرسمية .

وعلى الرغم من أن العبارة لم تكن واضحة المعالم ، ابتسم (حسن) ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

- على بركة الله .

ثم مد يده بصفاحه ، مستطردًا :

- تذكر دومًا ، أننا جميعًا معك .

غمغم (أدهم) :

- أعلم هذا .

ظل كلاهما يتطلّع إلى عيسى الآخر لحظات ، ثم فجأة ، وبخلاف كل التقاليد المتبعة في عندهم ، احتضنه السيد (حسن) في قوة ، وتدفقت مشاعر أبوه الدافئة ، وهو يقول له :

- اعتن بنفسك جيدًا .

غمغم (أدهم) :

- سأفعل .

ومرة أخرى ، احتضنه (حسن) في قوة :

ففي أعماق أعماقه ، وفي جزء خفي من نفسه ، لا يدري مكانه بالضبط ، كان هناك شعور قوي ، بأن هذه هي لحظة الوداع

وأنه لن يلتقي بـ (أدهم) ثانية قط ..

والمدهش أن هذا الشعور كان صحيحًا .

تمامًا ..

انعقد حاجبا رجل المخابرات البريطانى سير (ويليام) بشدة .
وهو يقول :

لمساعدته (جون) فى توتر :

- مستحيل ... ما نقوله مستحيل ! لا يمكن أن يفعل الأمريكيون هذا .

قال (جون) فى عصبية :

- ولكنهم فعلوه .

ولوح بذراعه ، وهو يتحرك فى المكان ، مستطرذا .

- (أدهم) سافر مع فريق خاص ، منذ لحظات ، على متن واحدة من طائراتهم الرسمية ، إلى جهة لم يعلن عنها ، وسلاح الطيران الأمريكى سيتولى حمايته ، حتى تتجاوز طائرته المجال الجوى .

انعقد حاجبا سير (ويليام) أكثر ، وهو يقول مكررا :

- مستحيل !

شعر أن ساقيه لا تحمله ، فترج جسده يسقط على مقعد قريب ،
وهو يقول :

- كيف فعلوا هذا ؟ .. كيف ؟

أجابه (جون) ، وعصبته تتزايد

- رجلنا فى البيت الأبيض لا يعرف ماذا حدث بالضبط ، ولكنه يؤكد أن المصرى كان هناك .

هتف (ويليام) فى ذهول :

- (أدهم) كان هناك ؟ فى البيت الأبيض ؟

قال (جون) فى غضب :

اجتمع بلايس الأمريكى ووزيرة الخارجية ومدير المخابرات ،
لأكثر من ساعتين ، ثم خرج بعدها بصحبة الأخيرين ، وأدى طاقم
الحراسة له التحية العسكرية .

اعتدل (ويليام) بحركة حادة ، وبلغ انعقد حجبته القصاه ، وهو يقول :
- تحية عسكرية ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟ هل أصبح
يعمل لحساب الأمريكين ؟

هز (جون) رأسه فى قوة ، وهو يقول :

- ذلك الرجل لا يمكن أن يعمل ، إلا من أجل (مصر) .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى عصبية بالغة

- هكذا يقول ملفه .

أجابه (ويليام) بسرعة :

- جذ تفسير آخر إذن .

تردد (جون) لحظة ، قبل أن يقول :

- ربما اتفقت مصالحهم مع مصلحة بلاده .

قال (ويليام) في صرامة ، مبعثها التفكير العميق ، والتوتر الشديد

- ونجح في إقناعهم بهذا ؟

غمغم (جون) ، في تردد أكثر :

- هذا ما يبدو .

التحس (ويليام) ركناً ، وغرق في تفكير عميق . استغرق ما يزيد على دقيقة كاملة . ثم يحاول (جون) خلالها حتى أن يتحدث إليه بحرف واحد ، حتى اعتدل ، وسأله في اهتمام شديد :

- وماذا عن الإسرائيليين ؟

لم يفهم (جون) بالضبط سر السؤال عن الإسرائيليين . في موقف يتعلق بالأمريكيين والمصريين ، إلا أنه أجاب على الفور :

- (راعول) استقل طائرة (موسكو) ، منذ ساعتين تقريباً .

عاد حاجبا (ويليام) ينفقدان ، وهو يقول :

- (موسكو) ؟

وراح يتحرك داخل المكان ، وهو يقول ، وكأنما يحدث نفسه .

- هناك شيء ما حتماً ، يربط كل هذا بعضه البعض . (راعول) يترك كل شيء فجأة ، ويسافر إلى (موسكو) على وجه السرعة . و (لدهم) يقدم على أمر مسحيل ، مناف لأي عقل ومنطق ، ويذهب بقدميه إلى البيت الأبيض . ويقضي فيها ما يزيد على الساعتين ، ثم يخرج بصحبة ورسلة الخارجية ، التي تبغض كل ما هو عربي ، ومدير المخابرات ، الذي هو جزء من خطة التحالف ، ويؤدي له طاقم الحرسية التحية العسكرية أيضاً ، كما لو كان زائراً رسمياً ، ويذهب بصف الساعة فقط ، يسافر على طائرة أمريكية إلى (موسكو) مع فريقه الخاص . هناك خيط يربط كل هذا بالتأكيد

كان (جون) يرغب في الإلقاء برأيه ، إلا أنه لزم الصمت تمام ، منتظراً ما سيكمل به (ويليام) حديثه . وخشية أن يفسد تفكيره ..

ولقد استغرق سير (ويليام) دقيقتين في التفكير بالفعل ، قبل أن يعتدل فجأة ، وتبدو عليه علامات الفهم ، وهو يقول لمساعدته في انفعال :

- أجز اتصالاتك ، وجذ طائرة خاصة ، مستعدة للانطلاق خلال ساعة واحدة .

سأله (جون) في اهتمام :

- إلى أين ؟

أجابه بملتهى الحلم :

- (موسكو) ..

وهنا .. هنا فقط ، بدأ (جون) يفهم ..

فقط بدأ ..

في رسالة واهتمام ، راحت أصابع (إيلين توركليف) ، العالم الروسي الفذ ، تجرى على أزرار لوحة الكمبيوتر المتطور ، الذى يعمل عنده ..

كل يسعى لتطوير ذلك السلاح الرهيب ، الذى ابتكرته قريحة فريق من أفضل علماء الأسلحة ، من مختلف الجنسيات . فى هذا المعمل ، الذى يجلس فيه الآن وحده ..

علماء فى الفيزياء ..

والكيمياء ..

والطبيعة النووية ..

والكمبيوتر ..

وعلم طبقات الأرض ..

عشرات شاركوه العمل ، لتنفيذ التصميمات التى وضعها كفكرة نظرية ، وعرضها من قبل على القيادة السوفيتية ، التى كانت منشغلة بسقوط اتحادها القوى ، الذى تكون عقب الحرب الثانية ، فلم تول لمشروع أننى اهتمام ، مما أوترته شعوراً بالسخط والنقمة والغضب ..

ثم جاءت تلك الفتاة ، وتنبأ مشروعها ، وأبدت اهتماماً شديداً به ، أعاد إليه إحساسه بالعزة والكرامة ، وثقته بنفسه ، وقدرته على مواصلة العمل ، وخاصة عندما وضعت بين يديه إمكانيات هائلة ، فأنشأت تسليحاً دولار ، وهذا المعمل الهائل ، الذى يحوى من الأجهزة و آلات والمعدات ، ما لم يحلم حتى برويته ، على صفحات المجلات العلمية ..

وطوال عامين أو أكثر ، عمل مع فريقه لتحويل النظرية إلى حقيقة ، وأدى كل فرد فى فريقه العلمى عمله على ما يرام .. وأخيراً صنعوه ..

صنعوا ذلك السلاح الجبار ..

ومنحته تلك الفتاة مكافأة هائلة عندئذ ، وطلبت منه أن يكتب قائمة بأسماء من لم تعد هناك حاجة لوجودهم ، من فريق العلماء والعاملين ، حتى يتم منحهم مكافأتهم ثم صرفهم

ولقد قصى يومين كاملين يعد تلك القائمة .

وبالفعل ، لم يعد أولئك هنا ..

خلا المعمل إلا من عند قليل ، راح يتناقض يوماً بعد يوم ، كلما انتهى أحدهم من مهمته ، حتى لم يعد هناك سوى أربعة من العلماء ، برأسهم هو . ولأن الأمر ممرى للغاية ، فالفاتنة منعت خروجهم ، منذ بدأ المشروع . ولكنها وفرت لهم في مزرعتها كل ما يمكن أن يحلموا به ، حتى إنهم عاشوا حياة الأباطرة ، وانشغلوا بعملهم ، الذي هو متعة العلماء الفعنية ، و ...

« صباح الخير يا عزيزي (توركليف) .. »

انتفض جسده في عنف ، عندما سمع العبارة ، داخل مصل يفترض أنه خال في هذا الوقت ، إلا أنه . والتفت بحركة حادة للغاية إلى مصدر الصوت ، واتسعت عيناه في دهشة شديدة ، وهو يحدث في الواقع أمامه ، قبل أن يهتف بكل توتره :

- (ساندوفيتش) .. أنت (يوري ساندوفيتش) .. أليس ذلك ؟

ابتسم (يوري) ، وهو يقترب منه ، قائلاً :

- كم يسعدني أن تذكرني .. لقد التقينا منذ عدة سنوات ، في ذلك المؤتمر ، في ...

قاطعته (توركليف) في توتر شديد :

- كيف دخلت إلى هنا ؟

واصل (يوري) ابتسامته واقترب به ، وهو يقول :

- تستطيع أن تقول : إنني أعمل مع جهة بالغة القوة ، لا تقف أمامها أية حواجز أو أسوار .

هتف (توركليف) ، وهو يتراجع مبتعداً عنه .

- إلا هنا .

توقف (يوري) ، وقب كفيه ، قائلاً :

- وها أنذا .

حدث (توركليف) فيه ، وكأنما لا يصدق أنه هنا أمامه ، ثم لم يلبث أن كرر في عصبية شديدة :

- لم تخبرني كيف دخلت إلى هنا !

مال (يوري) نحوه ، دون أن يتحرك من مكانه ، وهو يقول :

- ليس المهم هو الدخول إلى هنا ، بل الخروج .

سأله (توركليف) في حذر ، امتزج بتوتره وعصبية :

- ماذا تعني ؟

أجابته (يوري) في خبث :

- أعني أن كل من خرج من هنا ، لم يصل إلى الطريق أبداً .

كرر (توركليف) سؤاله مأخوذاً :

- أخبرني ماذا تعني ؟

أخرج (يورى) من جيبه ورقة مطوية ، مد يده إليه بها ، وهو يقول :

.. هذه قائمة بالعلماء ، الذين لقوا مصرعهم ، خلال العامين الماضيين ، فى حوادث عنيفة .

التقط (توركنيف) الورقة فى حذر ، وطلعها وأصابه ترتجف ، ثم اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يقرأ القائمة بها ، قبل أن يرفع عينيه إلى (يورى) ، قائلاً فى هلع :

- إنهم كل من عمل معى هنا .

أجابه (يورى) :

- بالضبط . كلهم أنهوا عملهم ، وأكملوا دورهم ، وقد تعد هناك حاجة إليهم ، لذا كان من الضروري ، حفاظاً على السرية ، لأصاء عليهم جميعاً .

اتسعت عينا (توركنيف) فى ارتياح شديد . فأنضاف (يورى)

- هكذا يبقى سر السلاح .. بالقضاء على كل من عمل فيه ..

يسميه العرب جزاء (ستمار) (*) ..

(*) سيمار مهندس عبقري بنى قصراً أثبه بالقيود ، به عدة ممرات سرية لأحد الملوك العظام ، ويحافظ الملك على سر تلك الممرات ، فى مبنى نفسه من فوق القصر

وصمت لحظة ! نيترك لـ (توركنيف) فرصة لاستيعاب الموقف ، ثم قال فى حزم خبيث :

- وسيتلى دورك حقناً .

لرتجف جسد (توركنيف) فى شدة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحثق فى (يورى) ، قبل أن يقول ، فى صوت أقرب إلى البكاء :

- ماذا تريد منى بالضبط يا (يورى) ؟

قال (يورى) بسرعة :

- عرض .

اصر لتساؤل من العينين المذعورتين ، فأضاف (يورى) فى استمئاع :

- سأقدم لك عرضاً ، لا تستطيع رفضه .

قلها ، وكأنه تمنى قولها يوماً (*) ، ثم اتسعت بتسامته بثقة .. بمنتهى الثقة

لقد اقتربت لحظة السيطرة على العالم ..

اقتربت أكثر مما يتصور الجميع ..

(*) عبارة شهيرة ، كان يردددها (مارلوف براندو) ، ومن بعده (آل باتشيلو) ، فى الجزء الأول ، من سلسلة أفلام الأب الروضى .

6- الجليد الروسى ..

قرأ مدير المخابرات المصرية ذلك التقرير العاجل ، فذى وصل من (واشنطن) ، فى عناية واختتام بالفين ، قبل أن يرفع رأسه إلى نائبه ، قاتلاً بابتسامة ، لم يستطع إخفاءها ، على الرغم من دقة الموقف :

- فى البيت الأبيض ؟!

أوما نائبه برأسه إيجاباً ، وهو يقول :

- وطاغم الحراسة أدى له التحية أيضاً ..

اتسعت ابتسامة المدير ، وهو يهز رأسه ، مغمغماً :

- ما زال (ن - 1) مصراً على إبهارى ، بعد كل هذه السنين !

ثم ثلاث ابتسامته : ليستعد جديته ، مواصلاً فى اسهام :

- والآن سافر إلى (موسكو) .

مرة أخرى أوما النائب برأسه إيجاباً ، قاتلاً .

- ليس وحده . (راعول) سبقه إلى هناك ، وكنت (سونيا) ،

فى واحدة من طائرات (دونا كاروليسا) الخاصة . رجائنا فى منظماتها أبلغونا هذا .

تراجع المدير فى مقعده ، قاتلاً :

- وماذا عن البريطانيين ؟!

أجابه فى اهتمام :

- استأجروا طائرة خاصة ، ستنتقل بهم إلى جهة ، لم يفصح عنها بعد ، ولكن من المرجح انها (موسكو) .

اتخذ حاجبا المدير ، وهو يقول فى قلق :

- إن قلعة معركة ستنتقل ، من الجحيم الغربى ، إلى الجليد الروسى .

قال النقيب :

- خبرتى تؤكد أن الجليد الروسى أكثر خطورة .

وافق المدير بإيماءة من رأسه ، مغمغماً :

- بالتأكيد .

ثم عاد يسأل فى اهتمام :

- وماذا عن السيد (حسن) ؟!

أجابه فى سرعة :

- يواصل إدارة الموقف ، من موقعه هناك ، فى السفارة المصرية

فى (واشنطن) ، ولقد نقلنا ما طلبه ، وأرسلنا الفريق الذى اختاره

إلى (موسكو) ؛ ليتلقى بسيادة العمود هناك

قال المدير ، وهو يفكر فى عمق :

- إنه رجل مخبرات مخضرم ، وأنا واثق من حسن إدارته للموقف من هناك ،

قال اللاتب في احترام وثقة :

- كلنا واثقون من هذا باسئدى .

مرة أخرى ، أوما المدير برأسه ، ثم عاد يفرق في تفكيره قصيق ، لم يقرب من دقيقتين كاملتين ، قبل أن يسأل في اهتمام ، تفوح منه رائحة القلق :

- كيف ذهب السيد (حسن) إلى السفارة ؟

أجابه نائبه ، وهو يشعر بالحيرة للسؤال :

- في سيارة السفارة .

التقط المدير نفساً عميقاً ، وهو يقول :

- هذا ما كنت أخشاه ..

وتضاعفت حيرة نائبه ..

ألف مرة ..

فهو لم يدرك أبداً ماذا يفتق في هذا الأمر ..

ماذا ؟؟

ماذا ؟؟

« لا يمكنكى أن أتبعك .. هذا مستحيل ! »

نطقها للعالم الروسى (توركنيف) فى توتر شديد ، وهو يحدق فى وجه (يورى) ، الذى هتف فى دهشة :

- بعد كل ما أخبرتك به ؟

هز (توركنيف) رأسه فى قوة ، وهو يقول :

- لا شأن للأمر بما أخبرتكى به .

هف به (يورى) ، وقد اكتسبت لهجته لمحة شرسة .

- لماذا إذن ؟

رفع (توركنيف) معصمه أمام وجهه ، قائلاً

- بهذا .

حدق (يورى) فى ذلك السوار الإلكتروني ، المحيط بمعصم (توركنيف) ، قبل أن يرفع عينيه إلى وجهه ، متسائلاً فى استنكار :

- أهذا ما لتصوره ؟

أجابه (توركنيف) فى توتر شديد :

- نعم ، سوار إلكترونى ، متصل بجهاز أمنى خاص للغاية ، يمنعنى من تجاوز أسوار المزرعة ، وإلا ...

لم يكمل عبارته . ولكن (يورى) استحثه . قائلاً :

- وإلا ماذا ؟

تلقت (توركنيف) حوله ، وكأما يخشى أن يسمعه أحد ، ثم مال نحو (يورى) ، هامساً بصوت مرتجف :

- ينفجر .

وشعر (يورى) بفضض عارم ، يتفجر في أعماقه ..

تلك الحقيرة أحكمت الحصار بشدة ..

اتخذت كل ما يلزم للسيطرة ..

السيطرة على (توركنيف) ..

وعلى العالم أجمع ..

ولكن لا ..

لا شيء في الوجود يمكنه أن يقف في وجه الحطة

خطة السيطرة على كل القوى ..

خطة السطوة ..

والنفوذ ..

والقوة ..

والعمليات ..

بل ترليونات بلا حدود ..

وبكل الحزم والإصرار ، قال :

- إنه مجرد سيوار إلكترونى ، ويمكننا أن ...

قنطعه (توركنيف) فى عصبية :

- كلا .

سأله فى عصبية :

- ولم لا ؟

أجابه بكل توتر الدنيا :

- لأنه مجهز بحيث ينفجر ، مع أية محاولة للعبث به ، أو خلعه ،

دون إضافة رقمه المسمى ، المكون من ستة عشر رقماً ورمزاً .

حاول (يورى) أن يقول شيئاً ، ولكن (توركنيف) استوقفه ،

وهو يواصل فى توتر أكثر :

- وحتى لو قطعت الاتصال ، بينه وبين جهاز التحكم الأمنى ،

أو قطعت التيار الكهربى عن هذا الأخير ، فليسور معد بحيث ينفجر ،

لو توقف عن تلقى نبضات الأمان المشفرة ، لخمس ثوان فحسب .

ثم زفر في حرارة ، قبل أن يضيف في عصبية :

- باختصار .. ما من سبيل للخروج من هنا .

قال (يورى) فى غيظ :

- وكيف تقبل بأمر كهذا ؟

أجابه فى مرارة :

- كنت أتصور أنها وسيلة تأمين ..

هتف (يورى) فى غضب :

- وكيف لعالم مثلك أن ...

كان لديه الكثير ، ليصرخ به فى وجهه ، ولكنه يتر هائم عند هذا الجزء ، وبذل جهداً خرافياً للسيطرة على أعصابه ، وهو يقول

- فلنكن .. يمكنك أن تبقى .

ثم مد يده إليه ، مستطرداً :

- فقط أعطنى المعادلة الناقصة ، لتشغيل تلك السلاح .

هز (توركنيف) رأسه نفيًا ، ثم أشار إليه قائلاً :

- إنها هنا .

بُهِتَ (يورى) ، وهو يسأله :

- هنا أين ؟

أجابه فى صرامة :

- هنا .. فى رأسى .

انعقد حاجبا (يورى) وهو يقول فى غضب :

- هل جننت ؟

أجابه فى حدة :

- بل هذا لكى ما فعلته وأعقله . فبهذا أصبحت قمتى مساوية لقيمة أقوى سلاح فى العالم ، ويسعى الجميع للحفاظ على حياتى ، حفاظاً على المعادلة نفسها .

تطلع إليه (يورى) فى غيظ شديد ، وكان عليه أن يذر ضعف ما بذله من قبل ، ليسيطر على أعصابه ، وهو يقول :

- والآن ماذا ؟

مال (توركنيف) نحوه ، قائلاً :

- سأستعير كلمتك ، وأعيد لها إليك .

وتطلع إلى عينيه مباشرة ، وهو يضيف :

- سأقدم لك عرضاً ، لا يمكنك رفضه .. استعن بأولئك الذين خلفك ؛ لتخرجوني من هنا حياً .

وصمت لحظة ، ثم أكمل في حزم :

- وسأمنحكم تلك المعاملة .

ثم التفت نفثاً عميقاً ، مكملًا :

- وحكم العالم كله .

وارتجف جسد (بوري) في الفعل ..

الفعال بحجم العالم ..

أجمع ..

انقلض الجنرال (ماليكوف) في انفعال جارف ، وهو يواجه
رجله (فيدور) ، قائلاً في حدة :

- الإسرائيلي عاك إلى هنا ؟

أجاب (فيدور) في حزم :

- منذ ساعة واحدة يا جنرال .

صاح فيه (ماليكوف) في غضب :

- ساعة ؟ .. ساعة كاملة ؟ .. بل ٢٠ .. كم تسوى ساعة في
عالم ؟ هل تدرك ما يمكن أن يبله ذلك الإسرائيلي هـا .
خلال ساعة كاملة .

صمت (فيدور) أمام دون أن يحاول الدفاع عن نفسه ، في
حين وصل (كوف) وهو يلوح بذراعيه في ثورة .

- أحياناً أشعر بالعار ؛ لأتكم رجالي .

.. ض (فيدور) عند هذه النقطة ، وهتف في انفعال .

- .. كنت مع ياسينى بنت ننتبعه كظله ، منذ وضع قدميه
على الأرض الروسية ، ونحيط به في كل خطوة ، إحاطة السوار
بالمعصم

قال (ماليكوف) في غضب :

- هذا ما نتصورونه .

قال (فيدور) في حزم :

- بل ما نفعه بالفعل .

زفر (ماليكوف) في عصبية ، وهو يقول :

- منرى .

لم يكذب إطلاقاً . حتى ارتفع رنين هاتفه الخاص المؤمن ، فالتقطه في سرعة . قائلاً في حشونة .

- ماذا هناك ؟

انعقد حاجباه . وهو يسمع إلى محدثه في توتر شديد ، التقطته عين (فيدور) في وضوح . مما جعله واثقاً من خطورة ما يسمعه الجنرال ، الذي ظل صامتاً ، حتى نهاية المحادثة ، قبل أن يقول في حدة وصرامة شديتين

- أريد معرفة كل شيء عنها . في أسرع وقت ممكن

وأنهى المحادثة . ثم رفع عينيه . إلى ذلك انقيص من التساؤل المنهمر من عيني (فيدور) . وقال في حدة .

... من الواضح أن بلد قد صار أرضاً للصراع

سأله (فيدور) في نهفة :

- ماذا حدث يا سيدي الجنرال ؟

أجاب في عصبية .

- (سونيا جراهام) وصلت إلى د . عبر مطار سري خاص .

ولم يبلغنا الخبر ، إلا بعد - اخبر تماماً ، ونحن يعرف أحد أين هي بالضبط ؟!

شاركه (فيدور) دهشته ، بالإشارة إلى توتر شديد . وهو يقول .

- (سونيا جراهام) تلك الأفعى الإسرائيلية

ضرب (ماليكوف) سلاحه به بقبضته في قوة . وهو يقول في صرامة غاضبة .

- تلك الأفعى مع إسرائيل ، بل صارت زعيمة لأقوى منظمة جماعية عدية . من الواضح أنها افلقت من ذلك السجن الأمريكي الدخيل المؤمن . وأتمت إلى هب . سعياً وراء أمر خطير لعدية يجب . المقامرة والمجازفة

تساءل (فيدور) متوتراً

- أمر مثل هذا ؟!

صمت (ماليكوف) لحظت . وهو يتطلع إليه ، ثم قال في صرامة :

- سلاح . سلاح قادر على السيطرة على الأرض كلها

قائلاً ، وهو يلتقط مسدسة تيفون الرئيسة الخاص . ليدور

فور سماعه صوت الرئيس الروسي

- أتعلم أن تكون القوات التي طلبتها مستعدة أيها الرئيس

وصمت لحظة . ليضيف بكل الحزم والحسم والصرامة و الانفعال .

- لقد بدأت الحرب .. حرب السيطرة .

ولم يصدق (فيدور) ما يسمعه ..

أبدا ..

انعقد حاجبا (أبيل كوريوف) فى غضب ، وهو يستمع إلى
(يورى) ، قبل أن يقول فى حدة :

- إذن فقد فشلت لعبتك !

اندھش (جوركى) لأن شيئا من التوتر لم يظهر على وجه
(يورى) أو فى صوته وهو يقول :

- مطلقا لقد التقيت بـ (توركيف) ، حلف أسوار ميديا
وتحدثت إليه ، وعرفت كيف يفكر ، وماذا لم يغادر المكان ، ولاحق
أننى عرفت ، أين تلك المعادلة الناقصة .

قال (كوريوف) فى سخرية عصبية :

- فى رأسه ؟! .. بل له من مكان مخيف !..

وكيف يمكننا الحصول على أيها العبقري ؟! هل نقطع
رأسه ؟!

مرة أخرى بدأ قويا متماسكا ، وهو يقول :

- شئ من هذا القبيل .

حرق فيه الجميع شئ من ح .. كوريوف نفسه فسمع
بسرعة ، قبل أن يتوتر الموقف :

- انه .. من .. المعادلة .. لحفظ حتى حياته فماذا
لوبي .. سو .. بوحيد .. لحفظ على حياته هي .. رياح
المعادلة ؟! ..

بدأ .. شديد على وجه (كوريوف) وهو يقول

- وكيف هذا ؟!

اعتلى (يورى) وهو يقول ببسامة خبيثة :

- لدى خطة .

وتدقيقين تقريبا ، شرح محص لحطته ، وسمع منه الجميع فى
دهشة بالغة ، وانبهار شديد حتى انتهى منها فهتف كوريوف :

- اد أقل لك أنت تمتلك عقلية احرمية مذهلة

غمغم (جوركى) فى توتر :

- وهذا يؤثر القلق .

التفت إليه (يوري) بنظرة تارية ، في حين انعقد حاجبا (كوروبوف) ، دون أن ينطق ببنت شفة ، حتى التفت إليه (يوري) مرة أخرى ، وقال :

- يمكننا البدء في التنفيذ ، خلال ساعة واحدة

لم يعلق (كوروبوف) بحرف واحد ، وهو ينظر إلى (يوري) في اهتمام ، فاعتدل هذا الأخير ، وشد قامته ، وهو يقول في خضوع خبيث :

- في انتظار أوامرك أيها الزعيم .

تبدل (جوركي) نظرة مع زعيمه ، لم تحف عن عيني (يوري) الفحصتين ، ولكنه ظل يحتفظ بملامح جامدة ، حتى استدار إليه (كوروبوف) ، قائلاً :

- نقد .

وهنا فقط ابتسم (يوري) ..

فيالنسبة إليه ، كان كل شيء يسير على مايرام ..

وكما رسم في ذهنه ..

بالحرف الواحد ..

كانت دهشة العبرة عارمة ، في سرور (موسكو) الرئيسية ، عندما شاهدوا تلك السيارة شديدة العظمة ، والتي تشق طريقها في الشارع في بطء ، يقودها سائق أصلي ضخم الجثة ، يرتدي منظاراً أسود ضخماً ، يحف عليه سما ، والتي جواره آخر أكثر صحامة ، يرتدي منظاراً شسها ، على نحو يوحى بأنهما حارسان خاصان . لذلك الرجل . الذي يجلس في المقعد الخلفي ، مرتدياً منظاراً أكثر فحشة ، وممسكاً سيجاراً كوبياً فاخراً ، ينفث دخانه في مريخ من العظمة ولاستهتار ، وهو يتطلع إلى الطريق ، وكأنما اختاره لنزهته ..

وكان من السهل للغاية ، أن يتعرف الجميع ذلك الرجل

لقد كان الزعيم ..

(أبل كوروبوف) ، زعيم (المافي) الروسية .

شخصياً .

لم يكن معظمهم قد شهدوه شخصياً أبداً ، إلا أن عشرات التحقيقات الصحفية ، التي ملأت الصحف عنه ، امتلأت بصوره ، على نحو جعله أشبه بنجوم المجتمع .

مجتمع الشر

وفي رعب واضح ، تجمد معظمهم في مكانه ، في حين اسرع الباقون الخطى ، في محاولة للخروج من الحى كله . قبل أن يجلب وجود (كوريوف) كل عنف الدثب اليه دون إندار « سنقف هنا .. »

نظمت (كوريوف) في صرامة خشنة فتوقفت للسيرة على الفور ، إلى جوار ملهى كبير سبى السمعة ، ليهيبط منها وهو في عظمة وعطرسية ، ويتفت حولها ، وكأنه يريد أن يتأكد من أن الجميع قد رآه جيداً ثم ينجح إلى ذلك الملهى ويرفع يابه بقدمه ، قبل أن يدخله كالطاووس .

وفي ارتياح ، هرع اليه مدير الملهى ، هاتفاً في ترحاب مرتجف .
- سيد (كوريوف) مرحباً كم يشرف حضورك الى هذه المتواضع .

قال (كوريوف) في غلظة :

- أنت على حق إبه متواضع أكثر مما ينبغي .

انحنى الرجل أمامه ، وهو يقول :

- لقد أعدت مائتة المفصلة اليها . منذ هنا أنك ستعود إلى ما توقفت عنه منذ زمن ، وتزور ملهاها .

انفقد حاجباً (كوريوف) في ... وهو يقول في غضب وحشى

- أريد أن تقور بأ هف حاب بين رجالي ، ينقل اليكم أخبارى ؟

هتف الرجل في ذعر :

- لا شأن للأمر بحياتة أبيها العظيم قد رادوا تنبها ، حتى ستعد لاستقبالك على النحو اللائق

فلهما وانحس مرة أخرى ، وسنبرنى مائدة في الحرم ، تحمعت حوبها ... ت ... فرمحر (كوريوف) ، وهو يبعها إليها ، قاتلاً .

- اصرفهن فوراً .. أريد أن أجلس وحدى .

الرجل إلى الحسوات بالانصراف في بوتر وهو يتبعه

- كما تأمر أبيها الزعيم العظيم .. ما تأمر .

جلس (كوريوف) عند المائدة ، ورفع قدميه عنها في وقاحة .
قائلاً :

- المعتاد

هتف الرحر في حضوع وهو يدعو ميتة سبى لأمر

- كما تأمر أبيها الزعيم .. كما تأمر .

وفي لا مبالاة عجيبة راح (كوريوف) يتبع هرب لبعهى ، وحركة رواه ، وهو يدهب نك لمفضلة سبهية أمامه وقدمه تهران في إقاع شبه منظم فوق المائدة ، و

« دون حراسة ؟ يا للجرأة ! »

سمع (كوربوف) العبارة ، فآدار عينيه في بطاء ، ورفعهما إلى صاحبتة ، ولم يكذبصره يرتطم بوجه (سونيا) ، حتى ابتسم في شراسة ، قائلاً :

- لن يفوق هذا جرأة ظهورك هنا ، والجميع يسعى خلفك لبيتها لفتنة

جلست (سونيا) أمامه ، وهي تقول في برود ، وتنفث دحان سيجارتها الطويلة في بطاء :

- عظيم . هذا يعني أن كنينا يتمتع بجرأة لا يحسد عليها .

ثم زمجرت في شراسة ، مستطردة :

- وأنزل قدميك عن المائدة ، عندما تتحدث إلى سيّدة .

أطلق (كوربوف) ضحكة سحرة عالية ، دون أن ينزل قدمه ، وهو يقول :

- سيّدة أم زعيمة مناهضة ؟

مالت نحوه ، حتى ملأ عطرها أنفه ، وهي تقول في صرامة :

- كان الأفضل لك أن تتحدث عن سيّدة ، فإزعيمه أكثر صعوبة .

سألها ، وهو يهز قدميه في وجهها في تحدّ :

- في أنها أكثر صرامة ؟

قالت ، وهي تقطع إلى عينيه مباشرة :

- كلاً في أن الزعيمة لديها رجال يتوبعونها ، يحيطون بك الآن من كل جانب ، وأحدهم مجيد مصوب إلى درجة مدهشة ، ويمكنه إصابة ذبابه على أنف كلب مسعور ، دون أن يوقظه من سباته .

ثم مالت نحوه أكثر ، متابعة في خشونة :

- وهو يسوّف بندقيته نحو جبهتك ، منذ دقيقة تقريباً ، هي انتظار أوامري .

وتراجعت تردف في صرامة :

- هل أشير إليه ؟

ارتبك (كوربوف) على نحو ملحوظ ، واعتدل وهو ينزل قدميه عن المائدة ، وبتلفت حوله في عصبية ، قائلاً :

- وكيف عرفت ...

قأطعته في صرامة ، تحمل لمحة سخرة ظافرة شامتة .

- لك هنا ؟ لم يكن الأمر عسيراً ، أيها التافه المغرور ، فرجائك

تبلغوا الملهى أن يستعد لاستقبالك وجواسيسى هنا أبلغونى بالأمر ، فلما أضع جواسيسى فى كل مكان تذهب إليه ، أو كنت تذهب إليه

وتراجعتُ نتر . يستند في موعده في زهو . مستطردة .

فقد عدت أن أعمل وفق نظم . قيو وحصة محكمة . وليس
على نحو عشوائي هيجي . كما اعتدت أنت .

ضاققت عيناه ، وهو يقول :

— هل تعتقدين هذا ؟

فأجابته ، ودفعت شجرا في صحبته . خرد . عليه . مجبنة

صحبه جعلت لجميع منقول فيه في دهنه . وجعت حاجبي
(سونيا) سقند في نور متسلسل . قل أن يتي دوره لبعض
هو نحوها ، وهو يقول في سخرية :

— كنت وثقا من أن ظهور العنق على هذا النحو . سافر .
سيعزوك باستهوان . مع بيت الفخر . عربسة في عفت . سب

قالت في عصبية :

— لا تقل لي أنك ...

قاطعها في حزام :

— تعمدت هذا ؟ ! مع — — — — —
علمت بك هذا . وقدرت — — — — —
تسعين لاسترداد سلاحك الصغير

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف في شماعة :

— الذي أصبح ملكي الآن .

قالت في حدة :

— مؤقتا .

هز كتفيه في استهتار ، قائلا :

من — — — — — كنت منذ لحظات تتباهين بأنك أكثر ذكاء
والآن تدركين أن لعن خدعتك . ودفعتك لخروج من
جرك ، الذي كنت أجهله . وهذا نحن أنا . نجلس قبسة بعضنا .
في المكان الذي اخترته أنا .

قالت في صرامة :

— والذي أسيطر عليه أنا .

عاد يهز كتفيه بنفس الاستهتار ، وهو يقول

— لو أنك تتصورين هذا حقاً ، مري رجلك بإطلاق النار على
رأسى .

ثم عاد يميل نحوها ، قائلا في سخرية :

- وستفقدن سلاحك إلى الأبد .

بدت عاصبة في صمتها . الذي استغرق دقيقة كاملة تقريباً ،
وكأنها تعد حساباتها كلها ، قبل أن تقول في بضع حذر . رفعت
إليه أكبر قدر ممكن من الصرامة :

- لا تنس أنني أعرف موقع الوكر جيداً ؛ لأنه وكرو أنا في
الواقع أنا شيدته . وانفقت المليارات لإنشائه وتجهيزه . ومثل
وتركيب ذلك السلاح فيه ، و ...

قال مفتحماً حديثها :

- وتأمينه .

التفت حاجبها أكثر ، وهي تحنق فيه ، فلوح بذراعه في سجنار .
وهو يتراجع ، قائلاً :

- لن تتركى مكاناً كهذا دون تأمين .

قالت في بطم :

- بالطبع .

وعادت إلى صمتها العرفي في التفكير لحظات أخرى ، ثم
اعتذلت فجأة ، قائلة :

- لسمعتي جيداً ب (كولوف) ، أو (سرف) . أو أيهما يخلو لك .
ربما نملك السلاح بفعل . ولكنك ... تشغييه واستخدامه .
دون المعادلة الأخيرة ، التي أمثلتها أنا ..

قال في لمبالاة :

- يكفي أن يطم العالم أنني أمثلته .

هزت رأسها نفياً ، قائلة في صرامة :

علا . لا يكفي . لابد أن يشاهد العالم تجربة عملية لذلك
السلاح - (أمريكا) لم تكن لتحكم العالم ، لو أنها أحبرته فحسب أنها
ممتلك قنبلة نووية ، ولكن عندما أزلت (هيروشيم) و (ناجازاكي) من
الوجود ، في نهاية الحرب العالمية ، وصلت الرسالة إلى العالم .
وأدرك أن (أمريكا) صارت أقوى دولة ، وتمتلك أقوى سلاح معروف
قال ، وكأنه يشاركها التفكير :

- ولكنني لا أستطيع أن أجرى تلك التجربة دون المعادلة الناقصة

قالت في حزم :

- وأن لا أستطيع أن أجريها ، دون السلاح نفسه

صمت لحظات ، وهو يتطلع إليها ، قبل أن يسأل :

- وماذا تقترحين ؟

7- كوربوف ..

ارتفع حاجبا الجنرال (ماليكوف) في رهشة ، وهو يقول لرجله
(فيدور) ، في عصبية ، بلغت حد الانقراض :

- البريطانيون يطالبون مقابلي ؟ .. أنا ؟ !

أجاب (فيدور) في قلق واضح :

- إنهم يحملون أوراقاً رسمية ، وموافقة من الرئيس شخصياً ،
ويطالبون مقابلتك على وجه السرعة .

التقى حاجبا (ماليكوف) ، وهو يقول :

- كم رجلاً هم ؟

أجاب في سرعة من ينتظر السؤال :

- اثنان .

سأله (ماليكوف) في اهتمام :

- هن ذكر ا اسميهما الفعليين أم ...

لم يتم السؤال ، ولكن ، فيدور فهمه ، وقال في ببطء -

- سير (ويليام) ، ومساعد (جون) .

ترجع (ماليكوف) في مقعده ، وهو غمغم :

- سير (ويليام) من التحالف : كان يمكنه أن يكتفى باتصال
هاتفي ، فلماذا ؟ !

مرة أخرى لم يكسر السر ، وغرق في التفكير لحظات ،
فتساءل (فيدور) في شيء من الحذر :

- هل

قاطعه (ماليكوف) في سرعة وحزم :

- دعهما يدخلان .. فوراً :

لدى (فيدور) التحية العسكرية . على غير المعتاد في أجهزة
المخابرات ، وعادر مكتب (ماليكوف) على الفور ، وبعدها بثوان
قليلة ، دخل سير (ويليام) ، وهو يقول ، ببرود بريطاني تقليدي :

- لم يكن من المتفق عليه أن نلتقى في مكتب أحدنا .

غمغم (ماليكوف) ، في صوت أقرب إلى الزمجرة :

- لهذا أدهشني قدومكما .

قال (ويليام) في هدوء :

- لو لم يكن الأمر عاجلاً وشديداً الخطورة لما أتينا .

التقى حاجبا (ماليكوف) الكئيب ، وهو يعبر نحوهما . مستعلاً

- وما الأمر العاجل شديد الخطورة ؟

اجابه (جون) هذه المرة . فى انفعال واضح .

- (أدهم صبرى) هنا .

ارتد (ماليكوف) بحركة حادة ، كما لو أن العبارة قد لطمته فى
عنق ، واتسعت عيونه وهو يحدق فى (ويليام) و (جون) . قيل
أن يهتف :

- هـا ؟

قال سير (ويليام) ، فى لهجة ذات مغزى مقصود .

- وبعم ومعرفة الأمريكيين .

أضاف (جون) مزجراً :

- ومباركتهم .

تضاعفت صدمة (ماليكوف) ودهشته . حتى إنه ظا عذمت لتصف
دقيقة ، نقل خلالها بصره بين (ويليام) و (جون) ثلاث مرات على
الأقل ، قيل أن يسأل :

- وما مصلحة الأمريكيين فى هذا ؟ ولماذا لم يعطونا لنا الأمر .

مادمناً رسمياً فى تحالف حاس بالفضاء عليه ؟

قال (ويليام) فى حزم :

- ليست أدت اجبات على هذه . . . ولكننا هب بضمين

استمرار التحلف بيت . بحر . . . حتى لو تراجع لآخرين

قال (ماليكوف) فى حذر

- عى الر - أكد يعتبرون من لاعداء . منذ نهاية بحرب

العالم .

قال (ويليام) ، فى شيء من الصرامة :

- مصالح المشتركة قد تصنع تحالفا خاصا ، فى ظروف بعينها

مط (ماليكوف) شفتيه ، وقال :

- ربما .. السياسة تثير نغمتى دوما .

ثم لَوَّح بيده فى سخط واضح ، مردفاً :

- ولكم حصلت على موافقة رفيق . أقصد الرئيس

ثم يفت هذا بفضاء على (ويليام) و (جون) . ولكن كيهما

تطهر بآء حتى لم يحطه . و (ماليكوف) يعبر نحوهم مستعلاً

- باختصار وتركيز .. ماذا نطلبان ؟

قال (ويليام) فى سرعة :

- فريق من قواتنا الخاصة ، سيصل إلى (موسكو) خلال أقل من ساعتين ، نريد الإذن بأن يعمل على أرضكم .

ومع نظرة الاستنكار ، التفتى تفجرت فى عيني (ماليكوف) ، استدرك (ويليام) فى سرعة :

- من أجل تحقيق هدف التحالف .

زمجر (ماليكوف) ، وهو يقول :

- قواتنا تكفى .

أشار (ويليام) بسبابته ، قائلًا :

- كن هذا جزءًا من خطة التحالف .. أم إنك قد نسيت

اعتدل (ماليكوف) ، وبدأ شديد الصرامة ، وهو يهم بمول شيء ما ، ولكن (فيدور) دخل مكتبه فى هذه اللحظة وهو يقول فى توتر :

- الكولونيل (سميث) ، من المخابرات الأمريكية ، يطلب مقابلتك على وجه السرعة يا سيدي الجنرال . ولقد تضاعف مطلبه وإصراره ، عندما علم بوجود البريطانيين هنا .

تبادل (ويليام) و (جون) نظرة عصبية قلقة ، فى حين ضرب (ماليكوف) سطح مكتبه بقبضته ، وهو يقول فى حدة

- عظيم يبدو أن معركة "تحالف" قد انتقلت رسميًا وفعليًا إلى أرضنا .. إلى (روسيا)

وكان قوله هو الحقيقة ..

بعينها

من مؤكد أن المفاجأة كانت صاعقة ، بالنسبة للجميع .

(سونيا) ..

ورواد العلهى ..

و (جوركى) ..

وحتى (كوريوف) نفسه ..

(كوريوف) الحقيقى ..

وفى لحظة واحدة ، انفتوا جميعهم إلى (أدهم) ، الذى ينتحل شخصية (كوريوف) ، ولذى نجح فى خداع (سونيا) ، وحصل منها على بعض ما يريد من معلومات ..

والذى ابتسم فى سخرية . مع ظهور (كوربوف) الحقيقى .
وهو يقول :

- إذن فقد وصل الوداع

استدارت (سونب) فى سرعة . حطمت بها دهشتها . وهى
تصرخ فى قناصها . لدى يحدث عند شرفة الطابق الثرى .

- أطلق النار .

وقبى حتى ان تكتمل صرختها . صعدت القناص زباد بندقيته

وانطلقت الرصاصة ..

ولقد كان بالفعل قناصا لا يشق له غبار ..

ولا يخطئ هدفه ..

ابدا ..

ولكن مشكلته الوحيدة هى انه بشرى ..

بشرى عادى ..

فهناك - علمي - ما يعرف به (امة تعصبية) . وهى تلك
الفترة التى تمضى بين سب أمر ما . واصدار إشارة من المبح
للأطراف بتنفيذه ..

ولقد فعلها القناص بأسرع ما يمكنه ..

ولكن جسده استجاب لمعادلة . لا سيطرة له عليه .

معادلة تطورت عبر الزمن . فى جسد رجل آخر ..

رجل المستحيل !

فمع أول حرف من سريخة (سونيا) تحرك (أدهم) .

وتحرك (حوركي) ..

وكل رجال (كوربوف) .

ندما انطلقت رصاصة القناص نحو الهدف . كان الهدف قد
ابتعد .

وبمتر كامل على الأقل ..

لقد وثب (أدهم) عبر المائدة . فى سرعة مذهبة . وضرب طرفه
بقدمه . فدفعها نحو (سونب) . لترتطم بها . وتسقطها أرضا .
فاطلقت سبب سناخظ . ورصاصة قناصها ترتطم بالمائدة . على
مسافة سنتيمترات قليلة من رأسها ..

وبينما ينطلق سببها . كان (أدهم) يقف مرة أخرى فى الهواء .
ويدور حول نفسه فى مشهد مدهل . ليهبط بين رجال (كوربوف) .
الذين استلوا مسدساتهم . وركل اثنين منهم فى أنفيهم . وقبل
حتى أن تستقر قدماه على الأرض ..

وفي دهشة وخوف ، تراجع (كوربوف) ، وهو يحدّق فيما يحدث في ذهول .

لقد كان (أدهم) يتحرك في سرعة مذهشة ، وكان كبحه قد جعل خفة فهد ، وقوة أسد ، وخبث ثعلب ، ومرونة غزال ..

كان يضرب هنا وهناك ، ويدور حول نفسه ، ويثب فوق قرعوس ، وكأنه ألف مقاتل ، وليس رجلاً واحداً ..

وبكل غضب الدنيا ، صرخت (سونيا) في قناصها ،

— لا تتوقف يا رجل .. أطلق النار .. أقتله

أطاعها القناص ، وراح يطلق النار ..

ويطلق ..

ويطلق ..

ولكن المشكلة أن الهدف لم يكن يستقر ، ولا حتى لجزء من الثانية ..

لذا ، فقد راحت الرصاصات تصيب رجال (كوربوف) ، الذين ارتبكوا ، ما بين محاولة القناص (أدهم) ، ومحاولة الرد على تلك الرصاصات ..

ووسط كل هذا ، ولأنه الوحيد الذي ظل متمالكا لأعصابه ، فقد وثب (أدهم) ، ودار حول نفسه كلاعب سيرك محترف ، ليتجاوز رجال (كوربوف) ، ويهبط حلف (جوركي) ، وبينه وبين (كوربوف) نفسه ، فاسد رجليه (جوركي) في عصبية ، وهو يصوب إليه مسدسه ، صارخاً :

— لن يمكنك أن

فأصحه (أدهم) بكلمة كالقنبلة ، أطاحت به لثلاثة أمتار على الأقل إلى الحدة ، وكادت تخلع عنقه ، قبل أن يرتطم بعدد من رجال (كوربوف) ، ويسقط معهم أرضاً في عنف .

أما (كوربوف) نفسه ، فقد تراجع بحركة حادة ، عندما رأى ما فعله (أدهم) برجاله ، وحاول أن يسحب مسدسه ، وهو يهتف :

— مستحيل !

ولكن (أدهم) أمسك معصمه بحركة سريعة ، وهو ينظر في عينيه مباشرة ، قتلاً في لهجة عجيبة ، هي مزيج من الصرامة والسخرية والوعيد :

— هل تعتقد أنك تستطيع .

ثم أتبع عبارته بثلاث لكمات متوالية سريعة ، أطلقها في ألف (كوربوف) وفكه ، قبل أن يمسك يافته ، ويرفعه خلف كتفه فاقد الوعي ..

ومن موقعه ، رأى (جوركي) ما حدث ، ورأى رجال (كوريوف) يبهضون ، ويسحبون اسلحتهم ، ويضربونها إلى (ادهم) . فصاح فيهم :

- الزعيم معه أيها الأغبياء .

ولكن (سوني) وثبت من فوق المنصة ، واندفع نحوهم . صرخة :

- أطلقوا النار ، أطلقوا النار .

وبكن (ادهم) منحها ابتسامة سحرة ، واندفع بحمله خارج الملهى ، فى نفس اللحظة التى توقفت فيها (مى) بسيارة روسية أمامه ، وهى تهتف :

- أسرع .. الشرطة فى طريقها .

ألقى (كوريوف) العقد النوى داخل السيارة ، ثم قفز من المعجور بها . فتعطفت هى بسرعة كبيرة ، جعلت إطارات السيارة تنطق صرخة عالية ، امتزجت بصوت أبواق ياراد تشرعة ، انسى تندفع إلى المكان اثر الإبلاغ عن تيدار .. فى الملهى

وعلى الرغم من أبواق سيارات شرد .. شع رجال (كوريوف) خلف (ادهم) ، وراحوا يطاردون السرى على السيارة ، واخترقت رصاصاتهم رجدها الد .. ر أن تنصرف بها (مى) عند الناصية ، فصاح (جوركي) فى الرجال :

- حقه انطلقوا خلفه لن تسمح له باختطاف الزعيم

الطفت ثلاث سيارات قوية . اعية . قع . خلف السيارة انسى تقوده (مى) . واندفعت خلف .. ر .. سيارات شرطة ، وهى تطلق سرينتها على نحو .. عى لتبدأ واحدة من أعنف المطاردات فى تاريخ (موسكو) كله .

وعند .. ار .. لهى ، خرجت (سونيا) ، وهى بادية الغضب والخط .. عها رجال (دوت) ، وسألها أحدهم فى حمس :

- هل تطلق خلفه ؟!

صمتت لحظة مفكرة ، ثم قالت فى حزم :

- كلاً ، سلتريه لهم .

ثم انعقد حاجبها ، وهى تضيف ، فى صرامة محيفة .

- فأمامنا عمل آخر أكثر أهمية بكثير .

قالتها . وذهنها بعد خطة جديدة ، من وحى الموقف

خطة لاستعادة السيطرة ..

على العالم ..

على الرغم من أن الموقف يتناقض مع كل ما أخبروه به ، عن ثقة وقوة وسائل الأمن والتأمين في المزرعة ، لم يشعر (توركليف) بدهشة كبيرة هذه المرة ، عندما وجد (يوري) أمامه ، داخل المعمل الكبير ..

فقط قل ، في لهجة خست من المشاعر أو كذات

- هل أتيت مرة أخرى ؟

أجابه (يوري) في هدوء :

- بالتأكيد .

ثم رفع أمامه جهازاً إلكترونياً صغيراً ، أشبه بهاتف خلوي ، وهو بضيف :

- مع هذا .

سأله (توركليف) بفضول عائم :

- وما هذا بالضبط ؟

- أجابه (يوري) ، وهو يلوح بالجهاز :

- الإشارات التي تتحكم في سرك هذا ، إشارات لاسلكية رقمية حتمًا .

غمغم (توركليف) ، وفضوله يتزايد :

- بالتأكيد .

أننى (يوري) الجهاز منه ، وهو يقول :

- هذا الجهاز هو لاقط إشارة رقمية ، يمكنه التقاط كل إشارة رقمية حولنا ، وبواسطة سعة ترددية الإشارة ، التي تتحكم في مولدك .

قال (توركليف) في عصبية :

- هناك كود سرى للتشغيل .. كود مشفر .

ابتسم (يوري) ، وهو يقول :

- هذه واحدة من مهام الجهاز الأساسية . تحليل وفك كل الأكواد المشفرة .

حدث (توركليف) في الجهاز لحظات ، قبل أن يقول في عصبية :

- هل تعلم ماذا يمكن أن يحدث ، لو فشلت لعبتك ؟

قال (يوري) في حزم وثقة ، وهو يضغط زر تشغيل الجهاز :

- لن يفشل .

أضاعت شاشة الجهاز ، وراحت أرقام عديدة تتراص عليها في سرعة ، وترغم ما بدا أشبه بكود سرى ، و ...

وفجأة ، انطلقت صفارات الإنذار في المكان ، وراح سوار (توركليف) يتألق على نحو متسارع ، فصرخ هذا الأخير في ارتياح :

« لقد أشعلته .. لقد أشعلته .

تفتت (يوري) حوله في ارتباك شديد . ثم ضغط زر الجهاز في عصبية ، وهو يقول في انفعال :

« مستحيل !.. كان ينبغي أن يعمل .

صرخ (توركليف) ، وجسده ينتفض في شدة .

« لقد أشعلته .. لقد قتلتني .

ثم اتسعت عيناه ، وانتفض جسده مرة أخرى بمنتهى العنف ، كما لو أنه قد تلقى صدمة كهربية عنيفة ، واطبق شهقة مكتومه قبل أن يسقط أرضاً فاقد الوعي .

ولثانية أو ثانيتين ، حدث في (يوري) ، ثم اندفع بخاطر .. وهو يهتف :

« سأعود .

ولكنه كان يدرك أن التجربة قد أثبتت أن السور على المعادلة الناقصة أمر عسير ..

عسير إلى أقصى حد ..

* * *

« سنبادل المقاعد .. »

فلها (فهم) في حزم ، فور تحراف منى ، بالسيارة عند النصية ويون تبذل كلمة واحدة ، ويأسلوب من الواضح أنهما قد تدرّبا عليه كثيراً ، تبذل الاثنان أمكنهما ، والسيارة تنطلق بأقصى سرعتها .. لقد أمسك هو عجلة قيادة وظلت هي تضغط دواسة الوقود بقدمها اليسرى ، وهي تدفع جسدها ، بينه وبين الواجهة الداخلية ، إلى المقعد الأيمن ، في نفس الوقت الذي مر هو فيه خلفها إلى المقعد الأيسر ، وبأن سفة ، حتى استبدل قدمه بقدمها ، على دواسة الوقود ، وزاد من سرعة السيارة ، وهو يمسك المقود بيديه في قوة ..

كانت للجيش من السيارات ينطلق خلفه ، كلها سيارات تفوقه قوة بمرتين على الأقل ..

ولكنه كان يفوق كل قادتها براعة ، ويتجاوزهم خبرة بعدد لا يحصر له من المرات ..

لقد انطلق وسط شوارع السوق المزدحمة ، فقفز فوق الأرصفة ، وعبر أماكن شديدة الضيق ، وتجاوز ملحنيات حادة .

وكل هذا دون أن يخفض من سرعته لحظة واحدة ..

وفي محاولة لإحكام السيطرة والحصر ، اتخذت سيارات رجال دونا الثلاث تشكلاً ثلاثياً ، فاطلقت إحداها خلفه ، وعبرت الثانية إلى يمينه ، والثالثة إلى يساره ..

وعلى الرغم من ازدحام المكان ، صوب إليه لرجل أسلحتهم .
وأطلقوا النار ..

« اخفضي رأسك .. »

هتف (أدهم) بالعبارة في قوة ، فارتفعت (متى) في سرعة ،
في حين ضغط هو دواسمة الفرامل ، فانخفضت سرعة السيارة على
نحو مباغت ، حتى كادت السيارة التي خلفها ترتطم بها ، ولكن
ما إن تجاوزت مقدمة سيارة (أدهم) مؤجرة السيارة التي إلى
بساره ، حتى دار بها في سرعة ومهارة ، وبداه تسيطران على
عجلة القيادة في قوة وبأس ، ليتجاوز السيارة التي خلفه ، ويهرب
إلى جوارها ، ليواصل انطلاقته ، في الاتجاه العكسي

تلك المبالغة الجريئة المبالغنة أربكت السيارات الثلاث رباعه
الدفع ، فضغط قادتها فراملها بحركة غريزية ، وانطلق الصرير
بغمر الشارع كله ، قبل ان ترتطم السيارة الخلفية بـ
اليمنى ، التي حاولت الانحراف حلف (أدهم) .

ومالت السيارة اليسرى بحركة حادة ، فارتطمت ساليمنى .

ومع صرخات المارة ، والفوضى العفيفة التي ملأت المكان ،
لم تعد السيارات الثلاث قادرة على مواصلة المطاردة ، فهتف أحد
ركابها بـ (جوركي) :

- الزعيم .. الزعيم معه

اتعد حاجبا (جوركي) في شدة ، وهو يقول :
- سنتركه له .

اتسعت عيت الرجل في .. وهو يهتف مستنكرا .
- نتركه ؟!

صاح فيه (جوركي) في صرامة :
- لقد سمعنى .

و تبع ببصره سيارة (أدهم) ، وهي تنطلق في مواجهة سيارات
الشرطة الأربع مباشرة ، قبل أن يكرر
- سنتركه لهم .

ولم يفهم الذاهل ما يخفيه هذا ...

لم يفهم أبدا ..

أما (أدهم) نفسه ، فقد انطلق بأقصى سرعته ، في مواجهة
سيارات الشرطة الأربع ، التي أريكها هذا الموقف الالتحاري ،
فتفرقت على نحو غريزي ، حتى لا تصطدم به .

ولكن (أدهم) لم يبلغها قط ..

لقد واصل انطلاقته ، حتى بلغ ساحة جانبية لانتظار السيارات ،
فتحرف إليها فجأة بحركة حادة ، أطلقت صريرا آخر أكثر عنفا

وعلى الفور ، اتحرفت سيارات الشرطة الأربع خلفه ..

ثم ارتبك سائقوها بشدة ..

فأمام عيونهم ، لم تكن هناك سيارة تتطرق ..

بل خمس !

خمس سيارات ، كلها صورة طبق الأصل من بعضها ، حتى في أرقامها ، وتلك الخلوش القديمة عند مؤخرتها ..

ونقد انطلقت كل سيارة منها في اتجاه مختلف ..

مختلف تمامًا ..

ومع الارتباك العنيف ، وعدم القدرة على اتخاذ قرار سريع ، دون الرجوع إلى القيادة ..

وأمام عيونهم القابضة ، راحت السيارات الخمس تبتعد ..

وتختفي ..

وتذوب ..

تمامًا ..

كأنت أصابع (راعول) تعصر سماعة هاتف ذلك المنزل السري ،
الذي يقيم فيه في (لينتجراد) ، وهو يهتف في عصبية لامحدودة :

- مستحيل ! (فرتيواليتي) لم يصع حطة كهذه قط !

استمع مرة أخرى إلى محدثة ، الذي ينقل إليه تفاصيل ما حدث
في (موسكو) .

- مستحيل ! هذا ليس أسلوبه . ليس أسلوبه أبدًا .

تهى المحادثة ، وراح يفكر في عصبية ، وهو يدور في
المكان كـ .. الجريح ، قبل أن يتوقف محدثًا نفسه :

- نعم ، هذا ليس أسلوبه .. لقد فعلها ذلك الثعلب أليس
نستخدم (فرتيواليتي) لمطاردته ، فلجأ إلى أذكى أسلوب لإفساد
مفعوله

وتوقف عند هذه الكلمة لحظات ، والغضب والغرظ يملآن وجهه ،
قبل أن يضيف في سخط :

- اختار شخص غيره ؛ ليضع له خطته

علا يتحرك في المكان بنفس العصبية ، مرددًا :

- شخص لا تعرف من هو ، ولا يمكننا استنتاج أسلوبه . حتى
لو استخدمنا ألف ألف (فرتيواليتي) . يا له من شيطان !

كان الغضب يتفجر في كل خلية من خلاياه ، وهو يحاول أن
يقتصر عقله ..

ويقتصره ..

ويقتصره ..

المشكلة كلها تكمن في سؤال واحد ..

من ؟ ..

من ذلك الشخص ، الذي يرسم له خططه هناك

في (موسكو) .

من هو ؟ ..

كيف يفكر ؟ ..

ما هو أسلوبه ؟ ..

كان يدرك أهمية وخطورة الحصول على هذه الأجوبة ، حتى
يمكنه إزاحة (أدهم) عن الطريق في هذه المرحلة بالذات .

لقد دفع الجميع خلفه في سبيلية ، ليبعدهم عن هدفه الأصلي ..

هدف (إسرائيل) ومعه ، من قبل حتى أن تنشأ ، على أنقاض
وطن محتل ..

حلم التفوق ..

والسيطرة ..

مرات عديدة سعت إلى هذا ..

وفشلت ..

وإذا فشلتها ، رأت أن أفضل وسيلة للسيطرة ، وهي أن تلعب
دور التابع ..

التابع : قوة قوية .

وهذا ما فعله ، منذ سنوات طوال ، وبعد أن أجبرتها القوى
خسبها على الانسحاب من (سيناء) ، عام 1956م .

وعبر دور التابع ، كبرت (إسرائيل) ..

وتطورت ..

وتعلمت ..

ولكن هذا لم يكفها .

أبداً ..

لقد ظلت دوماً تحلم بالسيطرة التامة

بأن تنتقل من خانة التابع إلى خانة السيد ..

سيد العالم ..

وها هي ذى فرصة ذهبية تلوح .

سلاح رهيب . لم ير العالم مثيلاً له من قبل ، نحتت (سونيا) في شراء العقول التي ابتكرته

في تصنيعه .

وتجميعه

وإعداده للعمل .

وفور عمله ، سيعن ذلك السلاح للعالم أجمع أن عصراً جديداً قد بدأ ..

عصراً لا نحتاج فيه إلى صواريخ ..

أو طائرات ..

أو قنابل ..

حتى القنابل الذرية ..

عصر تأتي القوة فيه من الطبيعة ..

الطبيعة التي لم يهزمها أحد قط ..

ومهما كانت الأساليب وسلاسلات ، أو أيًا كانت التصحيحات والتجاوزات ألا يفرغني أن يعوق شيء ما هذا أبداً ..

في حركة سريعة ، للتقط سماعة الهاتف مرة أخرى ، وطلب رقماً نوياً طويلاً ، وما إن سمع صوت محدث في (كيب) ، حتى قال في صرامة ، امتزجت بعصبية :

- اسمعني جيداً . راجع للسريير الذي سيرد إليك من (موسكو) مرتين ، وأرسل كل تفاصيله بحذاء كل الخبراء ، أريدكم أن يحدثوا من وضع هذا . خطة بالضغط ، من رجال المخابرات المصريين ، من نعلمنا معهم من قبل ؟ . أريد أن يتم هذا بأقصى سرعة . كل تفهمني ؟ . بأقصى سرعة .

أعني لماذا ؟ . والغضب في ملامحه يتزايد ويتضاعف ألف مرة ..

ملحظة الحاسمة تقترب ، ولا ينبغي أن يعوقها شيء .

أي شيء ..

أي شيء كان ..

وبأي ثمن ..

أي ثمن كان ..

★ ★ ★

(*) عندما تتعامل أجهزة المخابرات مع أساليب ، تنسج إلى شخص وهمي ، وتطلق عليه اسماً كودياً فتراسماً . بحيث تصعب أسلوب صياغة مخابرات للحصم ، دون تحديد هويتهم . ويقوم الخبراء بتحديد لحظة اختراصه . كما وجهوا عملية م ، كوميثلة لمعرفة سين التعامل معه

مع انفعالها الجارف ، أطلقت (منى) ضحكة عالية ، هاتفة ،
وهي تلوح بيدها ، على نحو طفولي ، لا يتناسب مع مهنتها :
- مدهش . الخطة التي وضعها السيد (حسن) مدهشة وفعالة ،
على الرغم من بساطتها .. لقد أربكتهم تمامًا .
غمغم (أدهم) -

- هذا هو

والتقط لهما عسفاً ، قبل أن يضيف :

- لقد أكمل تدريبى ، بعد مصرع والدى .

حدقت فيه (منى) لحظات ، فى مزيج من التعاطف والإعجاب
والتقدير ، قبل أن تربت على يده ، هامسة فى حنان
- ولقد أحسن كلاهما عمله .

تجمدت عينا (أدهم) لحظات ، وهو ينطلق بسيارته ، قبل أن
يلفت إليها ، قائلاً فى حنان ، نادراً ما يترك مشاعره له :
- (منى) .. هل ...

قبل أن يتم عبارته ، أحاطت سراع (كوربوف) بعنقه فجأة من
الخلف ، وهذا الأخير يهتف فى شراسة :

- معذرة نقطع لحظتكم الرومانسية .

كانت المفاجأة عنيفة قوية ، وعلى الرغم من هذا ، فقد جاء
رد فعل (أدهم) بالغ السرعة والقوة ، عندما اندر قبضته خلف
ظهره ، ولكم (كوربوف) فى وجهه بكل قوته .

وصرخ هذا الأخير ، فى مزيج من الغضب والألم ، وهو يسقط
على المقعد الخلفى ، فوثب (منى) نحوه ، فى رشاقة مدهشة ،
تجاوزت بها مقعدها المسمى ، لتتنقض عليه فى المقعد الخلفى ،
ولكمته على أنفه مدبرة ، وهي تهتف :

- هل تصوّرت أن ..

نساء ، يترن عبارتها ، وهتفت فى ذهول ، فى نفس اللحظة التى
نم فيها (أدهم) السيارة ، إلى جانب الطريق
- مستحيل !

والفت إليها (أدهم) فى سرعة ، والتقى حاجباه فى شدة .
فلقد كانت محقة تمامًا ..

ما يراه مستحيل ! ..

إلى حد مدهش

8 - لعبة سيطرة ..

لأول مرة ، منذ فترة طويلة للغاية ، شعرت للصينية الفصاء (تيا) بتوتر حقيقي ، وهي تقول لـ (سونيا) : داخل واحدة من طائرات الهليكوبتر الحربية الست ، التي تنطلق فوق جليد (سيبيريا) :

- ما زلت أعتقد أن ما نفعله هو لمحة من الحماسة

فأنت (سونيا) في صرامة ، دون أن تلتفت إليها

- ربما من وجهة نظرك ،

قالت (تيا) متوترة :

- هل من أي منطق تشعنين ، إنك نهاجم وكرا أعداء ، بنفسك وتدرकिन مدى قوة وسائله الدفاعية ، وتعلمين جبراً أن امكانيه تجاوزها ضئيلة للغاية ، وقد يتم سحق قوة الهجوم كله ، حتى قبل أن نصل إليه ، فكيف تجازين بمهاجمة عسى هذا للتحو السافر ١٩

ابتسمت (سونيا) في سخرية ، دون أن تجيبها ، أو حتى تلتفت إليها ، ولكن زجاج الهليكوبتر المجاور لها ، عكس ابتسامتها الساخرة ، التي استمرت مشعر (تيا) ، فهتفت مكلمة .

- ولست أظن الأمر يستحق السخرية .

أجابتها (سونيا) في صرامة شديدة .

- بل يستحقها عن جدارة .

ثم التفتت إليها في شراسة ، مستطردة :

- أنت لا تفهمين شيء ، ولديك قلتها بنفسك .. أنا أعددت هذا للوكر بنفسى ، لأرت مدى قوة وسائله الدفاعية .

وزمحت ، قبل أن تضيف

- ونقاط ضغطها أيضاً .

حدقت (تيا) فيها لحظات ، ثم قالت في حدة ،

- لست أصدق أنك تصنعين نظاماً دفاعية ، تحوى نقاط ضعف ، يمكن اختراقها .

أجابتها في سخرية عصبية :

- لأن تفكيرك ما زال محدوداً .

بدت دهشة مستنكرة على وجه (تب) ، فتأبعت (سونيا) في غضب

- عندما أتحدث عن نقطة ضعف في نظام م ، فإست أقصد أنها نقطة ضعف عامة . إنه نظام وضعته أنا ، ووضعت فيه عن

عمد شفرة خفية ، تحسباً لأية ظروف غير متوقعة ، أو لموقف كموقفنا هذا ، فبعد دقائق قليلة ، وعندما أصبح عند أول نطاق للرصد للجهاز الدفاعي للوكر ، سيتم بث إشارة رقمية ، ذات شفرة شديدة التعقيد ، وفور أن تستقبلها الأجهزة الدفاعية هناك ، سيرتدك نظامها ، وتختل إشارتها ، وتصاب بلوثة إلكترونية ، مما سيربك طاقم الحراسة ، الذى وضعه ذلك الودع (كوروبوف) هناك ، خاصة وأننى قد اخترقت لحظة عدم تواجده أو تواجده مساعده (جوركى) ، وغياب القيادة التام ، وعجز أولئك الذئاب عن اتخاذ قرار حاسم ، لى غياب قائدهم .

صمتت متطلعة إلى علامات الانبهار والدهشة ، على وجه (تيا) قبل أن تدبر عينها بعيداً عنها ، قائدة .

— هكذا بكل بساطة .

هتفت (تيا) مبهورة :

— بكل بساطة ١٩

ابتسمت (سونيا) فى شراسة ساحرة ، وهى تقول

— بالنسبة لعقل كعقلنى .

صمتت لحظة ، ثم أضافت فى وحشية :

— عقل زعيمة .

انركت (تيا) أنه من الخطأ مجادلة (سونيا) ، فى موقف كهذا ، فغمغمت :

— بالطبع أيتها الزعيمة .. بالطبع

تألفت عينا (سونيا) فى سر ، ولأدت بصمت مزهو لحظات ، حتى قال طيار الهليكوبتر فى قلق :

— نقطة الصفر يا سيديتى !

.. يكذب يقولها ، حتى أخرجت (سونيا) من جيها جهازاً صغيراً به زر واحد فى المنتصف ، ضغطته (سونيا) فى حزم ، وهى تقول :

— سنهبط هنا .

أطاع الطيار الأمر فوراً ، وهبط بالهليكوبتر الرئيسية ، وهبطت خلفها طائرات الهليكوبتر الخمس الأخرى ، ولم تكد تلامس سطح الجليد ، حتى وثب منها عشرات الرجال المدججين بالسلاح ، وهم يرتدون معاطف بيضاء سميقة ، وأعطية رأس من اللون نفسه ، بحيث كن تمييزهم وسط الجليد المحيط بالمكان أمراً عسيراً للغاية .

وفى حزم قائد ، قالت (سونيا) :

— سنهاجم من ثلاثة اتجاهات ، وفق الخطة التى شرحتها لكم ، وتدرّبتم عليها قبل قدومنا .

سألها طيار الهليوكوبتر الحربية الرئيسية .

- وماذا عن صواريخنا ؟! .. هل نمهد لكم ساحة المعركة
بقصف جوي مكثف ؟!

هتفت في شراسة :

- كلا .

بدت الدهشة على الرجل ، وهو يتراجع بحركة حادة ، فتمايلت
نفسها ، قائلة :

- لا أحد سيطلق صواريخاً واحداً على الوكز ، دون أوامر مباشرة
منى .. هل تفهم ؟!

غمغم الطيار ، في توتر متزايد :

- بالتأكيد يا سيدي .. بالتأكيد .

أدركت (تيا) السبب الرئيسي لتوتر (سمونيا) ، فآخفت
ابتنسمنتها خلف قناع من البرود الصارم حتى أشعلت (سمونيا)
واحدة من سجائر الطويلة قبل أن تشير إلى ذلك الجيش
الصغير من رجال (دونا كاروسنا) . قائلة بلهجة أمرة قاسية :

- سنبدأ هجومنا الأرضي .

ثم صرخت بكل قوتها :

- هجوم ..

وبدأت الحرب ..

سرى توتر خفيف في حجرة الجنرال (ماليكوف) ، بعد أن
انتهى الكولونيل (سميث) الأمريكي من حديثه ، والتفت (جون)
لر سبر (ويليام) بنظرة عصبية ، وكأنه ينتظر رأيه فيما قيل ،
في حين عقد حاجبا (ماليكوف) للكتن في شدة ، وهو يدير عينيه
بين الحضور ، في نظرة شديدة العصبية ، قبل أن يقول :

- الواقع أنني وعلى الرغم من تعيّنات السيد الرئيس ، عاجل
تماماً عن فهم موقفكم الأمريكي أليها الكولونيل ..

التقط (سميث) نفساً عميقاً ، وقال :

- الموقف أبسط من أن يؤثر حيرتك على هذا النحو يا سيدي
الجنرال .

زمجر (ماليكوف) ، وهو يقول :

- لقد تحالفتم مع تلك الشيطان المصري ، الذي يفترض أننا قد
تحالفنا جميعاً للقضاء عليه

قال (سميث) في هدوء :

- لست أتكبر هذا يا جنرال ، ولكن الواقع ، الذى تطعمه جيداً ، هو أن خطراً جديداً قد برز على السطح .. خطر يهدد كل القوى بل والعالم أجمع . الإسرائيليون كشفوه ، ونحن عرفناه ، وذلك المصرى قادر على دحره وإنقاذ وإنقاذ العالم منه .

قال (ماليكوف) فى غضب شرس :

- وأين ذهبت قواتنا ؟ . إننا نستطيع دحر أى خطر ، مهما بلغ ، خلال ساعات محدودة .

ابتسم (سميث) فى سخرية ، لم يستطع كتماتها ، وهو يقول

- سيدي الجنرال .. الإسرائيليون يبحثون هنا ، منذ بداية مشروعاتنا ، ولم تتوصلوا إلى ما يفعلونه بعد ، وزعيم (المافي) يريد - ية (كوروبوف) يفرض عليكم إرادته ، دون أن تفعلوا له شيئاً حتى مقره السرى ، الذى يحوى ما يهدد أمن العالم كله ، لم تتوصلوا إليه حتى الآن ، فكيف يمكنك أن تقول .. قواهم تكفى .

احتقن وجه (ماليكوف) ، ولتفقد حاجبا (ويليام) فى تساؤل ، عن كيف عرف الأمريكيون كل هذا . ولم يسر كونهم فيه ، وتوتر (جون) مما سمعه ، ولكن الروس كان الوحيد الذى تحدث ، وهو يقول فى حدة :

- وهل ذلك المصرى يكفى ؟!

أجابه (سميث) فى سرعة :

- بالطبع .

احتقن وجه (ماليكوف) أكثر ، فاستدرك (سميث) موضحاً :

- إن له دهاء تحب ، وإرادة نمر ، وقوة أسد . ثم إنه رجل مجرد رجل واحد ، يستطيع السسل إلى أى مكان فى خفة مذهلة ، ودون أن يشعر به أحد . وملفه يؤكد أنه يستطيع مقاتلة جيش كامل . أر ، وهذا يجعله الاختيار المثالى ، فى مثل هذه الظروف

وهنا ، تحدث (ويليام) لأول مرة ، قائلاً :

- هل تعتقد أنه سينجح ، فيما قد نفشل نحن فيه ؟!

هز (سميث) كتفيه ، وقال :

- لو فعلها سيخلص من خطر يتهددنا جميعاً ، أما لو فشل ، فهو محسوب على المخابرات المصرية ، ولن يترك تدخله أية ضغائن ، قد تدفع زعيم (المافيا) الروسية للانتقام من أحد ، إذا ما فاز فى المعركة .

انعقد حاجبا (ماليكوف) فى شدة ، وهو يحاول استيعاب هذا المنطق ، فى حين تبادل (ويليام) نظرة صامتة مع (جون) ، و(ماليكوف) يقول فى عصبية :

- ولو افترضنا أنه ، على الرغم من كل ما تقوله ، فشل في هزيمة (كوريوف) ، و ...

قاطعه (ويليام) في حزم :

- بل قل ماذا لو افترضنا أنه قد فعلها ، وفاز في المعركة ؟

أجابته (سميث) في سرعة :

- ستكون قواتنا في انتظاره .

سأله (ماليكوف) في عصبية :

- أي قوات ؟

أجابته في حزم :

- قواتنا كلها يا جنرال .. لو خرج من تلك المهمة بأحدنا وحياً ، فستكون قواتنا المشتركة في انتظاره

ولم يجب أحدهم ، أو يعلق بحرف واحد .

فالمشهد ألهب خيال الجميع ، وبعث لدماء لحدرة في عروقهم .
الحارة جداً ..

على الرغم من مخاوف (تيا) الشديدة ، من هذه الخطوة ، التي اتخمت عليها (سونيا) ، والتي بدت لها شديدة الحماسة والتهور ، كان الهجوم على الوكر ناجحاً ، إلى حد مدهش .

(سونيا) كانت تعرف كل دقائق ذلك المكان ، الذي أنشأته ، وبنت فيه حلمها ، ولم تفقد لامل قط في العودة إليه .

ولقد قامت جيش (دونا كارولينا) الصغير ، إلى مدخل خلفي ، كان يحرسه جلان فحسب ، نبح (ماريو) أحدهما ، ومسحق (لوتشيانو) الثاني ..

وافتح للرجال الوكر في عuf ..

المدهش أن ممراته كانت مفتوحة أمامهم ، دون أن يحرسها رجل واحد ، كما لو أن مناعة المكان جعلت (كوريوف) والثقل من أن أحداً لن يبلغه قط ..

وفي توتر شديد ، ضممت (تيا) :

- هذا لا يروق لي .

قالت (سونيا) في سخرية :

- لا شيء يروق لك ، منذ بدأت هذه العملية .

تلفّنت (تيا) حولها في توتر ، وهي تقول :

- قعدام المقاومة التام ، يوحى بأن ندخل فحاً بأقدامنا .

قالت (سونيا) في صرامة .

- أو أن (كوريوف) هذا قد بالغ في تقدير قوته ، ومتاعة الوكر ،
الذى اغتصبه بعد إلقاء القبض على .

وألفت بقايا سيجارتها في حق ، مستطردة .

- لقد راهن على أنلى لن أعود .

أشعلت سيجارة ثانية ، وهي تطفئ الأولى بقدمها ، مردفة :

- وخسر الرهان .

توقفت (تيا) عن السير ، وهي تقول في توتر أكثر :

- مازال الموقف كله لا يروق لى .

قالت (سونيا) في حدة :

- أنت وشأنك .

ثم اندفعت مع رجال (دونا) نحو القاعة الرئيسية

القاعة التى شُيّدت فيها أمل مستقبلها .

ذلك السلاح ..

أقوى سلاح عرفته الأرض ..

على الإطلاق ..

وعند باب القاعة توقف الرجال ، وقال (ماريو) فى قلق :

- هل نقتحم المكان ؟

سحبت (سونيا) مسند ذهب من جيبتها ، وهي تقول فى حزم :

- وبمنتهر الحف

شهر الرجال أسلحتهم فى تحفز ، (سونيا) تضيف فى حزم :

- عد رقم ثلاثة . واحد . اثنان .

صمت لحظة ، تتشجئ كل إرادتها ، ثم هتفت :

- ثلاثة .

وبمنتهى القوة والعنف ، اقتحم رجال (دونا كارولينا) القاعة

الرئيسية للوكر ، تقودهم (سونيا)

ودوت الرصاصات فى عنف

رصاصات انهالت كالمنطر ، من كل صوب ، وراحت تحصي

رجال (دونا) من حول (سونيا) ، وكأنها آلة حصاد عملاقة .

لقد كانت للصينية (تيا) على حق ..

إنه فخ ..

رجال (كوربوف) جميعا كانوا ينتظرونهم هناك ..

في القاعة الرئيسية ..

وحاولت (ميونيا) أن تتراجع ..

حاولت ، ولكن (ماريو) كان خلفها ، يصرخ .

- لقد أوقعوا بنا أنت قدتنا إلى هنا .. أنت أيتها الحفيرة .

كان يرفع يده ، ليهوى عليها بخنجره ، ولكنها أضلقت رصاصة من مسدسها الذهبي ، اخترقت منتصف جبهته ، وهي تقول في غضب :

- هذا جزاء ما لطفك به .

مع سقوط (ماريو) ، أغلق باب القاعة خلفها تماما ، ووجدت قدميهما تسبحان في بحر من دماء رجال (دونا) ، الذين لقوا مصرسهم عن بكرة أبيهم ، فالتفت في شراسة عصبية إلى رجال (كوربوف) ، الذين صوبوا جميعا أسلحتهم إليها ، دون أن يطي أحد من رصاصة واحدة ، فهتفت في حدة :

- ماذا تنتظرون ؟! .. أطلقوا النار

أناها صوت ساخر يقول :

- ليس نحن أوامرى .

التفتت في مرعة إلى مصدر الصوت ، واتسعت عيناها في شدة

فذلك الرجل ، الذى نطق العبره ، لم تكن تتوقع رؤيته . ليس في هذا المكان على الأمل ..

ليس هناك لهذا !!

بأية مقاييس !!

• إنه ليس (كوربوف) ؟! ..

هتفت (منى) بالعبارة فى دهشة ، وهي تحدق في وجه الرجل ، الذى كانت تقتله ، والذي انتزعت لقمته قطعة من قبعه المثقن ، الشبيه بوجه (كوربوف) ، ولم تكد تنتهى من هتافها ، حتى فتح (أدهم) باب السيرة الخفية ، وانتزع الرجل من عنقه بقوة مذهشة ، وهو يسأله فى صرامة ، وبهجة تجمد الدم فى العروق .

- لعبة متقنة أيها اللوغد . أين زعيمك الحقيقى ؟!

كان الرجل ينوى ألا يبوح بحرف واحد ، خاصة أن (كوربوف) قد هدده بالقتل ، وبأشنع وسيلة ، أو باح بحرف واحد ، ولكن نظرة واحدة من عينى (أدهم) ، وسماع صوته القار على تجميد الدم فى العروق ، جعله يجيب على الفور :

- إله هناك .. فى (سيبيريا) ..

سأله (أدهم) بصوت أكثر صرامة :

- هل يحتفظ بسلاحه هناك ؟

أوما للرجل برأسه إيجاب وهو يرتجف ، فهزه (أدهم) فى قوة ،
صالحاً :

- أريد إجابة مسموعة .

قال الرجل فى رعب :

- نعم ، يحتفظ به هناك ، تحت حراسة مشددة ، حتى ينجح ذلك
العالم فى إيجاد المعادلة الناقصة ، لتشغيل السلاح ، وتجربته فى
مكان ما ..

كانت مجموعة من المعلومات ، ثم يكن يتوقعها أو سطرها
(أدهم) ، إلا أن هذا لم يظهر على وجهه قط ، وهو يدفع الدرس
داخل السيارة ، قائلاً لزميلته (منى) :

- ستقوين أنت يا عزيزتى ، فلدى حديث طويل مع هذا الوغد ،
قد يستغرق الطريق كله . وربما أكثر من هذا

انتقلت (منى) دون مناقشة إلى مقعد القيادة ، وانطلقت بالسيارة ،
فور دخول (أدهم) إلى مقعد الخلفى ، بصحبة ذلك الرجل ، وهو
يقول له ، فى صرامة شديدة للغاية :

- هيا . قص على قصة حياتك كلها ، وحذار أن تنس حرفاً واحداً ،
وإلا فستعجز أمك نفسها عن أن تعرفك .

ثم انقعد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

- هذا لو بقيت حياً

« معلومات مذهشة يا (أدهم) .. »

هتف (منى) بالعبارة فى انبهار وتوتر ، بعد نصف ساعة
فحسب من هذا الموقف ، قبل أن تضيف ،

- ها ترسم أمامنا صورة كبيرة ، لما عليه الموقف كله .

قال (أدهم) ، فى تفكير عميق :

- ولكنها تحوى عدة مشكلات شديدة التعقيد ، فذلك السلاح ،
الذى تسعى إليه (سونيا) ، وينشده الإسرائيليون ، ويبحث عنه
لجميع ، فى قبضة زعيم (المافيا) الروسية ، داخل وكر حصين ،
فى قلب (سيبيريا) ، ومجرّد الوصول إليه أمر شبه مستحيل ،
ولكن ذلك السلاح تنقصه معادلة ، توجد هناك ، فى (لينلجراد) ،
فى عقر عالم روسى ، محاط بنظام أمنى شديد الدقة ، ولا يمكنه
مغادرة مكانه ، بسبب سوتر إلكترونى ، لا يوجد أى سبيل معروف
للخلاص منه ..

غمغمت (منى) :

- مشكلات عسيرة بالفعل .

قال (أدهم) ، وهو يجلس على مقعد إلى جوار النافذة .

- ليست عسيرة ، بل مستحيلة !

ظهر (قدرى) فى هذه اللحظة ، وهو يحمل عدة هويات روسية ، قائلا :

- إذن فهى مهمة مناسبة لك .

أدار (أدهم) و (منى) عيونهما إليه ، فتبع ، وهو يلتهم قطعة كبيرة من شطيرة ضخمة :

- لست أدرى ما المشكلة بالضبط ، ولكنى اعتدت منك أن تقهر المستحيل ، فى كل مهمة تقوم بها .

تطلع إليه (أدهم) لحظات فى صمت .

- هناك أمور تتجاوز حاجز المستحيل يا صديقى .

وضع (قدرى) بطاقت الهوية على أنه له هام (أدهم) ، وهو يقول :

- هرام !

نظرت إليه (منى) فى دهشة ، فى حين ابتسم (أدهم) ابتسامة هادئة ، دون أن يجيب ، فتابع (قدرى) فى بساطة ، وهو يلتهم شطيرته فى نهم .

- فى كثير من الأحيان ، عندما أبدأ فى تفيد شىء ما ، وخاصة مع تطور الوسائل التكنولوجية فى صنع الهويات الحديثة ، تبدو لى لعملية مستحيلة ، وخاصة عندما أعمس دون أن أدرى فى التعقيدات التكنولوجية ، ويتشاكك عتري معها . ركن عندما أخلص من كل هذا ، وأفرغ ذهني من قضايا الموقف ، وألقى نظرة أكثر ببساطة ، يبدو لى الأمر كله بغير مما كنت أتصور ، ويصبح المستحيل ممكنا ، وبوسيلة أكثر ببساطة مما كنت أتصور بكثير .

المنى حاجبا (أدهم) ، وهو يتطلع إليه فى تركيز شديد ..

وانطلق عقله بعيد دراسة الموقف كله ..

وعلى طريقة (قدرى) ...

ببساطة

وبعقلية ممتازة ، استطاع إفراغ عقله من كل التعقيدات ، التى تحيط بالمهمة كلها ..

ونظر إليها مرة أخرى ، و ...

وفجأة ، التمعت عيناه ، واعتدل على مقعده بحركة حادة ، جعلت (منى) تهتف :

- (أدهم) .

أما هو ، فقد ارتسعت على وجهه ابتسامة كبيرة ، وهو يقول - (قدرى) .. أنت عبقرى يا صديقى .

تهللت أسارير (قدرى) ، وقال بغم مملوء بانطعام :
- حقاً !!

وكان (أدهم) يعنى بالفعل كل حرف مما قاله

لقد وجد أسلوب (قدرى) الوسيلة ، لإنهاء هذه المهمة كلها .
الوسيلة البسيطة ..

للغاية ..

لم تشعر (سونب جراهام) فى حيلتها كلها بالقهر والفضب والسرارة والعجز ، مع إحساس شديد بالفشل والسخط ، إنما شعرت بها فى تلك اللحظة ، وهى تقف داخل القاعة ، ترى سعت عودة إليها ..

بكل تلك المشاعر حذقت فيه ..

فى زعيم (المافيا) الروسية ..

(أبيل كوريوف) ..

كان يتطلع إليها فى شماعة ظافرة صميدة ، وعلى شفثيه ابتسامة مقبنة ، جعلتها تنمى أن تنقض عليه ، وتعرس وتذا خشبياً فى غلبه ، وخاصة عندما تحدث قللاً

- عيكم جميعاً أنكم تتصورون أنكم الأذكى

غمغمت فى مقت :
- نحن كذلك بالفعل .

الطلاب من حلقه ضحكة عالية ساخرة ، استفزت مشاعرهم بشدة ، قبل أن يقول :

- أوجودك هنا هو الدليل الحى على هذا ؟

عضت شفثها السفلى فى حلق ، دون أن تنبس ببنت شفة ، متابع هو ، فى سخرية شامخة ظافرة .

- ما نسيتموه جميعاً هو أن أمثالنا يتمتعون بذكاء الثعالب ، وغريزة الغناب ، والحياة فى الشوارع تعلمنا ما لا يمكنكم أن تكتسبوه ، ولو بعد سنوات من العمل والحبرة .. لقد علمت أنكم جميعاً ستسعون خلفى ، فأعددت خطتى لمقبيلتكم ، واستعنت فى ترتيبها بعقلية علمية فذة ، للرجل الذى سيدفع سلاحك للعمل .

انتهبت بشدة عند هذه النقطة ، فقال فى زهو :

- (يوري ساندوفيتش) . هل سمعت هذا الاسم من قبل ؟!

لم تجب سؤالا ، وإن شئت عيناها عن أنها تعرفه جيدا ، فتابع بنفس للزهو الوحشي :

- كنت أعلم أن ذلك المصري سيحاول جمع المعلومات في البداية . وسيسعى لمعرفة أين أنت ، وفيه تفكرين ؟ ووسيلته الوحيدة لهذا هي أن يخدعك ، ويدفعك للظهور . فنشرت رجالي في كل مكان . وأنا بالمناسبة أزرع عددا هائلا منهم ، ربما يتجاوز المليون . نشرتهم وزرعهم في كل مكان .. أكثر من مليوني عين كانت تبحث عنكم ، على نحو تعجز أجهزة المخابرات نفسها عن بلوغه . وكل من حسن حظي ان عثرت عليكما معا ، واعترف أنني فكرت في الانقضاض عليكما بنفسى ، ولكن مستشارى (يوري) أشار على بلعبة أكثر براعة . لعبة البدير ، التي جعلت المصري يتصور أنك انتصرت ، وجعلتك تتصورين أن رجلى قد فتنوا قلوبهم ، مما يدفعك إلى أن تهرعى إلى هنا ، في محاولة لاسترداد وكرك وسلاح فى غيابه .

ومال نحوهم ، وتضاعفت سخريته ، وهو يقول :

- ما رأيك ؟!.. هل نجحت خطتى ؟!

رمقه بنظرة مفت وسخط . قبل ان تقول فى صرامة :

- ليس بعد .

تراجع بحركة حادة ، فأضفت فى ثدا

- إنك لم تطقر بـ { أدهم } بعد

اشتركت عينه وشفتاه فى سحره ساخرة ، وهو يقول :

- إنها مسألة وقت قصيب ،

برز (يوري) من ثدا ، فى هذه اللحظة ، وهو يقول فى خبث لم يرق لها

تحر نعرف أين منجده

قالت فى عصبية

- هرام . لو أنكم تعرفوه لسعيتم إليه .

قال (يوري) فى سرعة :

- ليس الآن .

أطل تساول متوتر من عينيها ، فأضاف (كوريوف) ، فى لهجة وثقة ساخرة ، لم تخل من رنة الوحشية :

- يمكنك أن تقولى : إنه الآن يعمل لحسابنا

استعاد (يوري) ابتسامته الساخرة للحبيثة ، وهو يكمل :

- ودون حتى أن يدري .

نطقها (يورى) ، فأطلق (كوربوف) ضحكة عالية ظافرة ، فى حين انعقد حاجبا (سونى) بمنتهى الشدة .

فهى تحاول أن تفهم ما قالاه ..

تحاول لأول مرة أن تفهم ما يدور حولها فى تلك اللعبة ، التى تزداد تعقيدا فى كل لحظة ..

لعبة السيطرة ..

الوحشية .

9- ناروجليد ..

رَبَّتْ (قدرى) على كرشه الذى لم يَرَاح شلدا ، وهو يقاوم ذلك السعاس الشديد ، الذى يسيطر على مخه ، منذ انصراف (أدهم) و (منى) .

كان قد اتهد ثلاث شطائر كبيرة ، امتلأت بها معدته ؛ مع أورثه كى لا يحور القوى بالنعاس ، فغمغم وهو يقوم تناقل جسر فى صعوبة :

عجبا ! لماذا أقاوم ؟! . ما دمت قد أنهيت عملى ، وأشعر بالرغبة فى النعاس ، فلم لا ؟!

نهض فى تناقل ، واتجه نحو حجرة النوم ، وهو يقول فى سخرية :

.. لقد تصرفت كما يفعل الأطفال ، عندما يكون طويلاً ، لإعلان غبتهم فى النوم .. إتنى أَسْعِل طيلة عمرى ، ثم لا ينامون فحسب دون يكاء ؟!

قالها ، وأطلق يضحك فى مرح ، وجسده انضخم كله يترجرج ،

وفجأة ، اتحم أولئك للرجال المنزل ..

وبمَنْتهى العنف .

خمسة رجال أشداء ، ضخام الأجساد ، حطموا باب المنزل ،
وانقضوا على (قدرى) ، الذى تراجع فى ذعر ، هاتفاً .

- ما .. ما هذا ؟

دفعه رجلان فى عنف ، فسقط أرضاً كجوال ضخمة ممتلئ ، وحتى
قبل أن يصرخ ، كتم ثالث فمه ، فى حين كبل الياقون ذراعيه ..

ولقد حاول (قدرى) أن يقاوم بحق ..

حاول .

وحاول .

وحاول ..

ولكن شخصاً مثله ، كان من الصير عليه . قدم حسنة من
العمالة دفعة واحدة ..

خاصة أن أحدهم وضع على أنفه قطعة من القماش ،
كتمت أنفاسه ، وانبعث منها رائحة نفثة قوية .

رائحة ملأت أنفه ، وتصاعدت فى سرعة إلى مخه ، وانضمرت
فى كيانه كله .

وبعدها لم يشعر بشيء

أى شيء

على الإطلاق .

« إنه ليس واحداً من ضباط المخابرات المصريين »

قاله رئيس (راعول) ، عبر الهاتف ، فأجابه هذا الأخير فى
تصميم .

ماذا تعنى بأنه ليس أحد ضباط المخابرات المصريين ؟
لهم لن يستعينوا حتماً برجال مخابرات ، من دول أخرى !

قال رئيسه :

- كلا بالطبع

وصمت لحظة ، ثم أضاف ، فى شيء من التردد

- ولكن ما قصده الخبراء هو أنه ليس أحد ضباط المخابرات
الحاليين .

سأله (راعول) فى قلق :

- ماذا تعنى ؟

أجابه :

- أعنى أن هذا الأسلوب يتفق مع أسلوب ضابط مصري قديم . خطط معظم عمليات المصريين . أيام حرب (كيبور) * . وكانت نسبة نجاح ما يخططه تصل إلى ما يقارب المائة فى المائة . على الرغم من بساطة أساليبه .

سأله (راعول) بمنتهى الاهتمام :

- ما اسم ذلك الضابط ؟

قرأ رئيسه الاسم من ملف أمامه . وهو يقول :

- اسمه (حسن عبد الله ...) ..

قاطععه (راعول) فى صرامة ، لا تتفق مع طارق الغرب . عرفته .

ثم ضغط أسنانه فى قوة ، وهو يضيف مفسر .

- لقد رصد رجالنا وصوبه إلى السفرة المصرية فى (واشنطن) ، عندما كانت الأزمة هناك مشتعلة ، وكنى يامها تصورت أنه قد انتقل إلى انسك الدبلوماسى . وقد يحضر ببائى لحظة واحدة أنهم قد استعانوا بخبراته .

(*) حرب كيبور هو الاسم الذى يطلقه الإسرائيليون على حرب السادس من أكتوبر لأنه كان يتوافق مع عيد (كيبور) لديهم

قال رئيسه مؤمناً :

- معلوماتنا تقول . أنه كان الصديق (أدهم) هذا . وكان وحيداً . لحظة أن تمت بتمه (...) . بقرار من .

قاطععه (راعول) . متجهاً حدود اللياقة والوظيفة :

- كما نحفظ . من ظهر قلب

ثم صمت . قبل أن يتابع

ودى نور هذا هو العقل ، الذى يرسم له (أدهم) خطته . حتى فافضل وسيلة نربك بها ذلك الشيطان اله حرى ، هى إزاحة مخططه عن الطريق

قال رئيسه فى قلق :

- (راعول) .. هل تخطط له ...

مرة أخرى . قاطعه (راعول) . قائلاً فى حزم .

- بالتأكيد

أنهى المحادثة بعدها بدقة واحدة ، ثم أجرى اتصالاً مباشراً بمكتبهم فى (واشنطن) ، وقال فى صرامة :

- سمضى جيداً يا رجل . هناك هدف يثير لك الكثير من المتاعب من عندكم .

وصمت لحظة ، ثم أضاف في شراسة .

- نعم ، نريد إسكاته نهائياً

وهكذا بدا وكأن التاريخ يعيد نفسه

تاريخ الشر .

تطلق صهيل أحد الجياد ، في تلك المزرعة الكبيرة ، عند أطراف (لينجراد) على نحو أثار انتباه أحد رجال الحراسة ، الذين يحومون في المكان طوال الوقت ، فاتجه نحو منطقة الأسطبلات ، وهو يمسك سلاحه في حذر ، وراح يتفقد المكان في دقة ، قبل أن يعتدل ، ويصمع إلى الجياد ، قائلاً :

- حسن . لا يوجد شيء .. ما الذي استثار أعصابكم بس .

صهل أحد الجياد مرة أخرى ، فالتفت إليه الحارس بحركة حادة ، وعاد يرفع سلاحه ، وهو يتجه نحوه ، و ...

ونجاة القرض عليه (أدهم) من أعلى ..

هبط فوقه في عنف ، وسقطه أرضاً ، وهوى على فكه بلكمة عنيفة ، دار لها رأسه في عنف ، ولكنه حاول أن يتعاسك ، أو يرفع سلاحه ، ولكن الكفة الثانية أسقطته فاقط الوعي تماماً ..

وفي سرعة ، ودون إضاعة لحظة واحدة ، استبدل (أدهم) ثيابه بثياب الحارس ، والتقط طاقيّة رأسه الكبير .. ، وخفى بها نصف وجهه ، وحمل سلاحه ، ثم غادر الأسطبلات في هدوء ، وراح يسير في المكان ، ويتبادل التلويح برجال الحراسة الآخرين ، في جراءة يحسد عليها ، بلغ منطقة المعمر ، فاقترب من حارسيتها ، وهو يخلض وجهه ، ولكن أحدهم رفع سلاحه ، قائلاً في خشونة قاسية :

- روكك به هذا .. ألم تبلغك التعليمات الجديدة ، التي تحظر
الاقتراب من هنا ، دون تصريح خاص ؟

كرب (أدهم) من الحارسين أكثر ، وهو يقول .

- حقاً ؟ . ومتى صدرت هذه الأوامر ؟ .. قبل أم بعد مولدكما ؟

جمعت عيونه قدراً من السخرية ، جعل الرجلين يرفعان سلاحيهما في وجهه ، وأحدهما يهتف :

- من أنت يا رجل ؟

وأجابهما (أدهم) .

أجبت قبضته الأولى بلكمتين متعاقبتين سريعتين ، في أنفه وفمه ، وأجبت قدمه اليمنى لثقتي بركلة في معدته ، قبل أن تشترك معها قدمه اليسرى بركلة أكثر عنف في أنفه ..

وقبل حتى أن يسقط الرجلان أرضاً ، كن (أدهم) يثب متجاوزاً
إياهما ، ليدلف إلى المعمل في حركة سريعة ، جعلت (توركنيف)
يلتفض ، وهو يثب من مكانه ، هاتفاً :

- من أنت ؟

أجابه (أدهم) ، وهو يتجه نحوه :

- أنا الذي أتى ، ليخرجك من هذا السجن العلمي الإلكتروني .
الذي يحتجزونك فيه .

تراجع (توركنيف) في ذعر ، هاتف ، وهو يلوح بدراعيه

- لا . لا تحاول . لو أخرجني من هنا ، ستكون نهايتي .

انفط (أدهم) قارورة زجاجية ، وهو يقول

- أعلم كل شيء عن ذلك السوار الإلكتروني المتفجر ، وسام
الأمن المرتبط به .

وصب أحد سوائل المعمل في القارورة 3 ، مضطرباً .

- ولكنها ليست بالمشكلة الصغيرة

هاتف (توركنيف) مستكراً :

- هل جئت ؟ لا ، كم تساوى لهم ؟ ! إهم لن يسمحوا
لأحد بالحصول على قط .

قال (أدهم) في هدوء عجيب ، وهو ينتظر مادة أخرى ، ويضيفها
إلى الأولى في حذر :

- بالضبط .. وهذا ما سيحدثنا على حراجك من هت

هتف (توركنيف) :

- أي قول أحمق هذا ؟

فأر (أدهم) عينيه في المكان ، ثم اختار مادة ثالثة . أسالها في
رفق على هذا مقارورة ، لتمتزج بالمادتين الآخرين في ببطء ،
وهو يقول :

- حاول أن تحسب الأمر بعقلية عالم يد رجل ، وليس بفكر
مخصص مذعور .. أنت تساوى الكثير بالنسبة لهم ، ولهذا لن
يسمحوا لآخر فاختطافك .

ثم ألقي القارورة بعيداً بالأرض ، وانفجرت بدوى محدود ، اشتعلت
إثره النيران في ركن المعمل ، فصرخ (توركنيف) في رعب :

- ماذا فعلت أيها المجنون ؟

أدهشه كم طل (أدهم) هادئاً ، على الرغم من انسيان ، التي
تسرى في المكان في سرعة ، وهو يقول :

- لننظم الإلكترونيات هنا سننقل إليه حدوث حريق سريع الانتشار
في المعمل ، ولأنك تساوى إليهم الكثير ، ولأنه من الطبيعي أن

أنتجه نحو (توركنيف) في حركة سريعة ، وأمسك معصم الرجل .
ثم انتزع السوار عنه بحركة عنيفة ، جعلت هذا الأخير يصرخ ،
في مزيج من الألم والرعب :

- لا ..

ولكن (أدهم) تابع في حزم هادئ ، وهو يلوح بالسوار في يده :
- أوقفوا إشاري الأمن ، من السوار الإلكتروني

وأمام عيني (توركنيف) اللذاهنتين ، ألقى (أدهم) السوار بعيداً ،
وهو يميل لحوه ، قائلاً باهتسامة ، بدت غير متناسبة مع الموقف كله :
- سيحمون استثماراتهم . أليس كذلك ؟

ظلّ (توركنيف) يحدق فيه لحظة في ذهول ، قبل أن يهتف

- انسرستجذبهم إلى هنا خلال لحظات قليلة

جذبه (أدهم) إليه ، وهو يقول في صرامة :

- لذا ينبغي أن نبتعد بأقصى سرعة .

كان (توركنيف) يعدو معه ، بكل خوفه وهلع وقوته ، ولكنه
لم يستطع أبداً مجاراته ..

لقد كان (أدهم) يعدو في سرعة وحدة خرافيتين ، ورجال الحراسة
يهرعون لحوهما من كل صوب ، فتوقف (توركنيف) ، وهو
يلهث ، هاتفاً :

- لا ، لن يمكنني الاستمرار . أمض أنت في طريقك .
توقف (أدهم) ، على الرغم من أن رصاصات رجال الحراسة قد
بدأت تهمر بالفعل ، وتدفع عائداً إليه ، فهتف (توركنيف) مكرراً :

- لا .. لا ، امض وحكك

ولكن (أدهم) - - - - - لم رفعه عن الأرض في قوة ،
وحمله على كتفه ، - - - - - انضى يعدو به ، ورجال الحراسة يطلقون
رصاصاتهم في غزارة مخيفة ..

وسنهر القوة أغلق (توركنيف) عينيّه ، وهو يردد مرتجفاً
- - - - - سيقتلوننا .. سيقتلوننا حتماً .

كانت الرصاصات تنثر حولهم على نحو مخيف ، حتى إن (أدهم)
نفسه قد تساعل كيف لم يصبه إحداها ، وهو يعدو بحمله هذا ، حتى
اتحرف نحو منطقة الاسطبلات ، فهتف (توركنيف) في فزع
- ليس هذا هو الطريق ..

لم يجبه (أدهم) ، وهو يثب به نحو مدخل الاسطبلات ، وما إن
عبراه ، حتى أنزل حمله ، واستدار يخلق الباب الخشبي الكبير في
قوة ، فتلفت (توركنيف) حوله ، وهو يقور في ارتباك .

- لقد سجنتم هنا .. سيحاصروننا ، ويسحقوننا سحقاً ، و -

قاطع (أدهم) في صرامة شديدة :

- لصمت .

أطبق (توركنيف) شفطيه فى قوة ، فاستطرد (أدهم) ، وقد
لأن صوته :

- دعهم يحاصرونا كم يشاعون ، ولكن المكان هنا يمتدنا
عشرات الفرص .

وتلقت حوله بدوره ، مضيقا :

- وعشرات الأسلحة .

سأله (توركنيف) فى دهشة :

- أية أسلحة ؟

مال (أدهم) نحوه ، وهو يسأله بابتسامة كبيرة ، بدت شديدة
التناقض مع الموقف :

- قل لى ب رجل ، هل تعلم بم اشتهر فرسان العرب قديم ؟

ولم يجب (توركنيف) ، ولكن وجهه وعيناه يحملان الكثير
من الدهشة ..

الكثير جدا ..

لم يكد نوى الرصاصات يتناهى إلى مسمع (منى) ، وهى تجلس
فى سيارتها ، خارج تلك المزرعة فى (البحر) ، حتى سرى توتر
عنيف فى جسدها ..

ها هوذا القتال قد بدأ ...

(أدهم) لم ينجح فى إتمام المهمة بالسرعة المطلوبة .

أو أنه قد فشل ، ولكن خصومه كانوا أكثر سرعة

وهم حتما أكثر عددا ..

ولكنه لها ..

(أدهم) دوما لها ..

مهما كان عدد خصومه ، ومهما كانت قوتهم ، فهو ينتصر ..

أو هكذا ما تتمناه ..

وليس ما يشعر به قلبها ..

ففى أعماقها ، ما زال ذلك الشعور يتضاعف ويتزايد .

إنها آخر مهمة لهما معا ..

آخر مرة تراه ..

أو تشعر بوجوده إلى جوارها ..

شعور رهيب يملأ قلبها . بأنهما سيفترقان .

شيء ما سيفرق بينهما ..

شيء مخيف ..

قامت بشدة ذلك الشعور التشنؤى فى أعماقها ، وأدركت محرك سيارتها ، حتى تصبح مستعدة للانطلاق . فى أية لحظة ، كما تنص الخطة ، التى وضعها (أدهم) عندما انتقلا إلى (ليننجراد) .

كان واثقاً من أنه سينجح فى إخراج (توركليف) من تلك المزرعة ، ولم يكن يشغله إلا كيفية الابتعاد عنها بأقصى سرعة ..

ومع دوى الرصاصات ، الذى يكاد يصم أذنيها عادت تتساءل وذلك الشعور بنمو داخلها ثانية ترى هل سينجو ؟!

هل ؟!

مصبها سيرة قوينان أضواء من خلفها وسدس صوتهما على المرأة الداخلية لسيارتها ، ليفشى بصرها لحصة ، فأشاحت بوجهها ، ليرتطم بصرها بفوهة مسدس قوية . مصوية إلى رأسها مباشرة ..

وبالنسبة لفتاة عتية ، فى مثل عمرها وظروفها . كانت المفاجأة مناسبة لشل تفكيرها وجسدها كله تماماً ..

ولكن (منى) لم تكن فتاة عادية ..

إنها ضابط مخبرات

ضابط مخبرات تدرب على . مررب لا يشق له غبار ..

على يد الرجل ..

رجل المستحيل

إذا قد حرك ، فور أن وقع بصرها على فوهة المسدس ، فتحت ، بخرقة سريعة ، لتبعد رأسها عن الفوهة ، وهى تدفع الباب بكل قوتها ، ليرتطم بمهجمها ، حتى من قبل أن تراه

وانطلقت رصاصة الرجل بالفعل ..

انطلقت ودوت فى أذنها ورأسها ، ولكنها لم تبال . وهى تثب خارج المبرة ، وتركل المسدس من يد الرجل ، الذى بدا لها لأول مرة عملاق ضخماً ، لم يكد يفقد مسدسه . حتى انقض عليها فى عنف وحشى ، ولكن (منى) تغادت انقضاضته ، ووثبت تركله فى أنفه مباشرة . ومع تراجعها ، دارت حول نفسها فى رشاقة ، وركلته مرة أخرى ، أسقطته أرضاً فى عنف ..

وعندما استقرت قدماها على الأرض ، انقض عليها ثلاثة عمالقة آخرين من الخلف فى قوة ..

صحيح إنها تلميذة (أدهم صبرى) ورفيقته ..

وصحيح إنها تجيد القتال ، كما يجيده أى رجل مخبرات محترف ..
ولكنها فى النهاية فتاة ..

فتاة لا تمتلك القوة الكافية ، للالتحام مع ثلاثة من العمالقة فى
آن واحد ..

لذا ، فقد قاتلت بكل قوتها ..

قاتلت كما لم تقاتل من قبل ..

ولكن فى النهاية كان الانتصار للكثرة ...

ومع ضربة عنيفة ، على مؤخرة رأسها ، سقطت (منى) ..

سقطت فاقدة الوعي ، وسط العمالقة ..

الأعداء ..

اعتدلت دونا (كارولين) بحركة حادة على طرف فراشها ، لئلا
لم تغادره منذ ساعات طوال ، وهى تسك هاتفها فى قوة ، هاتفه
بكل الانزعاج :

— ماذا ؟

أجابها (ليل كوريوف) ، فى لهجة هى مزيج من السخرية
والشماتة والشراسة :

— ماذا أصعبك يا عزيزتى دونا ؟! هـ صغرت حسنة السمع لديك ،
أم أن قنرتك على الاستيعاب قد انحضت ، مع تقدُّمك فى العمر .

لم تنبس دونا ببنت شفة ، وإن كانت أصابعها تعصر هاتفها
المحمول ، من قرط غصيب ، فتابع هو فى شماتة :

— فذلك ساعد على مسمعك ما سبق أن قلته . لقد جروهم
رجلك عن محاولة اقتحام عالمى ، فما كان منى إلا أن سحقتهم
سحق . ورجالى يقومون الآن بتصفية من تبقى منهم ، فى كل
مكان من (روسيا) العزيلة .

بدلت جهداً خرافياً للسيطرة على أعصابها ، وهى تسأله فى حدة :

— ماذا تريد يا (كولوف) ؟

أجابها بنفس السخرية الشامتة :

— إنه (كوريوف) الآن يا عزيزتى ، ولكن هذا لا يهم .. لقد
أردت فقط أن أخبرك أن حليفك الجميلة (سونيا جراهام) فى
قبضتى الآن ، ويمكننى أن أسحقها بقدمى فى لحظة واحدة

قلت فى حقى :

— افعل إذن .

أطلق ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

- سأفعل يا جميلتي حتماً سأفعل ، ولكن بعد أن تشاهد انتصارى الساحق بعينيها

ثم اكتسبت لهجته شراسة وحشية ، وهو يضيف

- وسيكون هذا مصيرك أيضاً ، لو أقدمت مرة أخرى على نقض تعهدنا ، بالألا بدس أحداً أنفه فى شئون الآخر ، وهذا هو ...

أنهت المحادثة ، قبل أن يتم عبارته ، وجنست محتقة بوجه بشدة ، على طرف فرشها ، وقتلها بنفض فى عنف وتوتر بالغين .

إنه اللعنة التى تؤمن بها ..

لعنة (أدهم صبرى) ..

لقد وقعت فى الخطأ ، الذى شاهدت الجميع يقعون فيه من قبل

وها هى ذى النتيجة ..

أصيت منظمتها بلطمة عنيفة ، لم تتلق مثله ، فى تاريخها كله .

لظمة عليها أن تتعامل معها بمنهى الحكمة ، وإلا نالها ما سعت لتجنبه طويلاً جداً ..

(المعافى) لم تعد التنظيم الإحرارى الأوحى والأكبر والأقوى عالمياً ..

اليابانيون صنعوا منظمتهم .

والروس ..

والصينيون .

والكوبيون .

والصراع أصبح عنيفاً ..

شرساً ..

وحشياً

والسبيل الوحيد لتفادى الدخول فى حروب عنيفة ، هى تقسيم العالم إلى أقسام ، تسيطر كل منظمة على قسم منها .

ولا تتدخل ولحده فى شئون الأخرى ..

لهذا ..

ولكن (سونيا) خدعتها ..

وورطتها ..

وأدخلتها فى اللعبة ..

اللعبة التى تقاتلها يوماً ..

اتطلعت عشرات الأفكار تعربد فى عقلها ، الذى اشتعل بآلاف الأعصير والعواصف ، حتى اتفقد حاجباه فى شدة ، وسحبت هاتفيها

المحمول مرة أخرى ، وطلبت رقماً دولياً ، وما إن سمعت صوت محدثها ، حتى قالت فى حدة :

- اسمعنى جيداً يا جنرال ، لأننى لن أقولها مرة أخرى

حمل صوتها كل توتره وانفعالاتها ، وهى تضيف بمنتهى الحزم والعصبية :

- إننى انسحب من التحالف وهذا قرار بهائى ، غير قابل للمناقشة .

قالتها ، وأنهت المحادثة فى عنف ، ثم ألقت هاتفها المحمول بعيداً ، وتركت جسدها يسقط على الفراش فى حدة

نعم ..

إله قرار حكيم ..

القرار الوحيد الذى يحمى منظماتها ، ويقيدها من حرب عصابات ..
قد لا تربحها أبداً ستتمسك فكرة السيطرة على العالم

وتلتسى (سونيا) ..

وحتى (أدهم) ..

(أدهم صبرى) نفسه ستتمناه .

لهائياً

★ ★ ★

حاصر رجال حراسة مزرعة (سينحراد) اسطبلات الخيول بأسلحتهم . وهتف بهم قتلهم فى صرمة

- أطلقوا النار فور رؤيتنا - بنمسه خمس دقائق فحسب ،
فإنما أن يستسلم ، أو .

قبل أن يت - لمره ، رتفع صهيل عشرات نهجيات داخل الاسطبلات .

حفر - مع بأسلحتهم ، خاصة وأن الباب الخشبي الكبير قد
سر - قليلاً ، فتراقصت سيوفهم على أرضة أسلحتهم ، و ..

وفجأة ، اندفعت الخيول عبر الباب الخشبي .

كل خيول الاسطبلات ، اندفعت نعدو فى وجه رجال الحراسة ،
مستفزة بتلك الصرخات العالية ، التى يطبقها (أدهم) خلفها ..

ومع حالة الغوضى الشديدة ، التى أصابت رجال الحراسة ، مع
اندفاع قطيع الحيول ، انطلق (أدهم) على متن جواد قوى ، وهو
يحمل (توركنيف) خلفه ..

وبكل زعر الدنيا ، أطلق (توركنيف) صرخة ممتدة طويلة ،
و (أدهم) ينطلق بجواد ، كفارس عربى أصيب نيبس ، ورجال الحراسة
مرتبكون ، عاجزون حتى عن إطلاق النار عليه .

حتى إنهم عجزوا عن رؤيته ، وسط عشرات الجياد ..

صحيح أنهم أطلقوا عشرات الأعيرة الدارية العشوائية ، ولكن كل ما فعلته هو أنها أثارت الجياد ، ودفعتها للعدو أسرع وأسرع ..

وبكل رعبه ، لاحظ (توركنيف) أنهما ينطلقان نحو سور المزرعة المكهرب ، فصاح :

- والآن ماذا ؟

صاح به (أدهم) بكل صرامته :

- تشبث بقوة .

كان (توركنيف) يتشبث به بأقصى قوته بالفعل ، وهو يصرخ :

- لست أظنك تفكر حتى في ...

اتجه (أدهم) نحو كومة من الأخشاب ، لا يذكر (توركنيف) أبداً أنها كانت قريبة من السور على هذا النحو ، وهو يقاطعه صمخاً :

- تشبث .

أغمض (توركنيف) عينيه في قوة وحاول أن يتشبث به أكثر ، وشعر بالجياد يرتفع فوق كومة الأخشاب ، ويطلق صهلاً قوياً ..

ثم يقفز ..

لقد جذب (أدهم) عنانه ، وهو يركز في بطنه في قوة ..

وقفز الجواد ..

قفز كما لم يقفز من قبل ..

فارسه دفعه إلى أن يستنفر كل قواه وطاقاته .

وعلى الرغم منه ، توقف رجال الحراسة مبهورين ذاهلين .

لقد بد لهم (أدهم) أشبه ببطل أسطوري ، وهو يثب بالجياد ، الذي يحمل رجلين ، عبر السور المكهرب ، قبل أن يختفي خلفه ..

ولقد كان كل شيء معذا بدقة مسبقة .

لقد هبط الجواد على سقف السيارة ، التي أوقفها (منى) في المكان المتفق عليه بالضبط ، ثم منه إلى الأرض ، قبل أن يجذب (أدهم) عنانه في قوة ، ليجبره على التوقف ..

كان (توركنيف) مبهوراً مأخوذاً ، عندما وثب (أدهم) عن متن الجواد ، وجذبه إليه ، هاتفاً :

- هيا .

اندفع به (أدهم) نحو السيارة ، وفتح بابها ، و ..

وفجأة ، تغرس سلك رفيع في ظهره ..

وثان في عنقه

وثالث في فخذه

وحتى قبل أن يتحرك ، سرت في الأسلاك الثلاثة ، عبر مسدسات
كهربية خاصة ، موجة عنيفة .

صدمة كهربية ، يستحيل أن يحتمسها بشئ

حتى ولو كان رجل المستحيل نفسه

وانتفض جسد (أدهم) في عنف

بمنتهى منتهى العلف ..

وفي لحظة واحدة ، أظلمت الدنيا أمام عينيه .

وسقط ..

سقط فاقد الوعي ، في نفس اللحظة التي أطلق فيها (توركنيف)
صرخة رعب ، وهو يتلفت حوله .

ومن خلف أكمة قريبة ، برز (جوركي) ، المسعد الأول لزعيم
العنفاء الروسية ، وهو يقول :

ـ كما نعلم أن هذا الشعب المصري سيجد وسيلة لإخراجك

حتى (توركنيف) فيه في رعب ، وراى ثلاثة رجال يتجهون نحو
(أدهم) ، ورابع يتجه نحوه هو ، فهتف متراجعا :

ـ ماذا سيفعلون بي ؟ .. أنا .. علون ؟

رفع أحدهم بخافة صغيرة أمامه وجهه ، ودفع منها رذائلا بارذا ،
اخترق أنفه وعينه ، و

مع سحبه (توركنيف) ، رفع (جوركي) هاتفه المحمول إلى
أذنه وهو يقول في ارتياح ظافر .

ـ اصبرنا أيها الزعيم انتهت المعركة

والقى نظرة أخرى على (أدهم) و (توركنيف) ، قبل أن
يضيق في زهو :

ـ لصالحنا .

وابتسم في ثقة

وظفر .

10 - أسرى ..

« ذلك الوغد !! »

هتف الجنرال (ماليكوف) العبارة في سخط، وهو ينهى المحادثة في عنف، ويلتفت إلى الجالسين أمامه، قائلاً في غضب:

- ذلك الوغد يهددنى صراحة " . بلغت به الجراة أن يفعل .

سأله (سميث) في توتر:

- (أدهم صبرى) ١٢

هتف (ماليكوف)، وهو يلوح بيده:

- هل (كوربوف) .. (لبل كوربوف) .

قال سير (ويليام) في حذر:

- زعيم (المنافيا) للروسية ١٣

أجابه (ماليكوف) في غضب:

- هو بنفسه . طلب منى حسم الأمر ، ودفع المليارات الأربعة

التي طلبها ، وإلا فإبته سيطر سلاحه ، ليرينا تجربة عملية ، نصينا إلى صوابنا .

سأله (جون) في قلق:

- وماذا يمكن أن يفعل سلاحه هذا ١٤

مط (ماليكوف) شفتيه نور أن يحسب ، فقال (سميث) في بطء:

- يستطيع أن يؤس المسافة ، من (موسكو) إلى (ليننجراد) ، في لحظة واحدة

اتسب عيب (فيدور) في زعر مندهش ، و (جون) يهتف:

- إلى هذا الحد ١٥

وزمجر (ماليكوف) ، قائلاً:

- من الواضح أنك تعرف الكثير عن ذلك السلاح يا كولونيل .

تحاشى (سميث) النظر إليه ، وهو يقول

- المفترض أن علماءنا هم الذين وضعوا فكرته الأساسية .

غمغم سير (ويليام) ، وهو يرمقه بنظرة ساخطة .

- حقاً ١٦ ..

تابع (سميث) ، وهو يواصل تحاشى النظر إليهم:

- الفكرة قنمها إلينا عالم روسي ، بعد سقوط الاتحاد السوفيتي ،

ودرسها طاقم من علمائنا ، في سرية تامة ، وانتهوا إلى أنه ، لو تم

تنفيذه ، فسيصبح أقوى سلاح عرفته الأرض حتى الآن

قال (جون) فى فضول شديد :

- وأين تكمن قوته بالضبط ؟

تجاهل (سميث) السؤال ، وكأته لم يسمعه . وهو يواصل .

- وقد بدأنا مرحلة التنفيذ بالفعل ، ولكن بدأ حفية اخترقت نظام الأمن لدينا ، وتمت سرقة جميع التصميمات ، منذ عامين تقريباً ، واغتيل كل طاقم العلماء ، الذى كان يعمل على تنفيذ المشروع ، فيما عدا ذلك العالم الروسى (ايفان توركنيف) ، الذى اختفى تماماً ، ولم نعلم له على أثر ، أما النماذج الموجودة على أجهزة الكمبيوتر ، فقد تم محوها رقمياً ، عبر شبكة المعلومات كلها ، بحيث فقدنا كل ما نعرفه عن ذلك السلاح تماماً .

قال (ماليكوف) فى حدة :

- كنتم تريدون صنعه ، للسيطرة على العالم .. أليس كذلك ؟

عاد (سميث) ببصره إليه ، وهو يقول :

- نحن نسيطر على العالم بالفعل .

اتعقد حاجبا (ماليكوف) فى حلق . على حين قال (ويليام)

- إننى فقد أصبح ذلك السلاح الرهيب فى قبضة زعيم (المافيا)

الروسية الآن !!

عاد (سميث) يشيح بوجهه ، قائلاً :

- للأسف .

رأى عليهم الصمت بعد ذلك . ثم تزايد عن نصف دقيقة ، قبل أن يعتدل (ماليكوف) ، ويقول فى صرامة .

- علينا حسم الأمر فى أسرع وقت أبهى السادة

قال (ويليام) فى سرعة :

- قواتنا مستعدة .

واندفع (سميث) يقول :

- وقواتنا أيضاً .

أدار (ماليكوف) عينيه فى وجوههم ، ثم قال فى صرامة :

- للأسف . لدى أوامر من الرئيس بالتعاون معكم ، كرمز

للتحالف فحسب ؛ لذا فستخرج قواتكم ، مع قواتنا ، فى حملة

مشتركة ، للعثور على وكر (كوريوف) وتدميره

غمغم (سميث) فى حذر :

- أعتقد أن (أدهم صبرى) سيسبقنا إليه .

قال (ويليام) فى حزم :

- هذا لا يهم . إما أن نظفر به نحن ، أو يظفر به هو ، وحتى لو فعلها ، سنظفر نحن بالفائز منهما .

قال (سميث) ، وهو يعتدل :

- اتفقنا .

لم يرق هذا الأسلوب للجنرال (ماليكوف) ، فالتفت إلى (فيدور) ، وقال :

- (فيدور) . ستقود أنت قوات التحالف فى هذه المهمة

أراد (ويليام) أن يقول شيئاً ، واعتدل (سميث) ، على نحو يوحي بالمثل ، ولكن (ماليكوف) زمجر ، وهو يشير إليهما قائلًا :

- إنها أرضنا .

تعلم (سميث) فى عدم رضا :

- لا بأس .

مطّ (ماليكوف) شفطيه ، وقال . مكمل حديثه مع (فيدور) بلهجة أمرة :

- هذه المهمة من أجل إنقاذ العالم ، فقم بها على خير وجه

رفع (فيدور) يده بالتحية العسكرية فى قوة ، قائلاً :

- سأفعل يا جنرال .

ثم استدار ، وغادر الحجرة ليبدأ مهمته ..

المهمة التى يفترض أن ينفذ فيها العالم ..

ويقضى على .. جرجر ، الذى يسعى أيضًا لإنقاذه ..

الرجل المصرى :

رجل المستحيل ..

لصعب ما ، لم يدركه بالضبط ، شعر (هشام) بتوتر شديد ، وهو يركب سيارة السفارة المصرية ، إلى جوار جده ، فراح يتلفت حوله ، وهو يقول فى قلق :

- جدى .. هل ترى أنه من الحكمة أن تغادر (واشنطن) ، فى مثل هذه الظروف ؟

قال السيد (حسن) فى حزم :

- بالتأكيد ، فمن الأسهل أن نلير المعركة وسط ساحاتها الرئيسية ، ووجودى هنا يجعلنى بعيداً عن موقع الأحداث ، أما أنتقالى إلى (موسكو) ، فسيجعل القرارات أكثر واقعية وسرعة .

تماعل (هشام) :

- ولكن ألن يثير انتقالك خلف العميد (أدهم) الشكوك ؟!

ابتسم (حسن) ، وربّت على ركة حفيده ، قائلاً :

- اطمئن .. إتلا ندير اللعبة على نحو أفضل مما تتصور .. لقد طلب الرئيس إجراء مباحثات مع وزير الخارجية الروسى ، بشأن ميثاق تجارى ودبلوماسى جديد ، والمفترض أننى مسافر إلى (موسكو) فى مهمة رسمية ، لهذا تهدف بالذات ، ومعى كل الأوراق الرسمية ، التى تؤكد هذا .

غمغم (هشام) :

- نعم ، هذا الفضل .

نطقها ، دون أن يتلخس من أعماقه تلك الإحساس لصيق بـ...
والذى تضاعف عندما توقفت السيارة أمام مبنى المطار ، فسقط
إلى جده فى ثوتر شديد ، وضغط يده فى قوة بفت اليه الإحساس
بالقلق ، فابتسم جده ، وقال :

- اطمئن يا (هشام) .. قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا .

لوماً (هشام) برأسه إيجابياً وحول أن يتسم ، إلا أن تلك القصة
فى حلقه منعته حتى من الكلام ، فكتم بالهبوط مع جده من السيارة ،
وحمل عنه حقيقته الوحيدة ، وسار إلى جواره فى صمت ، و ..

وقجاة اطلقت تلك الرصاصة .

رصاصه صامتة ، لم يسمعها هو ..

ولم يسمعها جده ..

أو أى شخص حولهما ..

ولكن الجميع رأوا تأثيرها العنيف ..

رأوه فى تلك الانفجاسة ، التى أصابت السيد (حسن) فجأة ، وفى
بقعه الدم الكبيرة . التى تكوّنت فوق سترته ، عند موضع القلب
تماماً . وفى اتساع عينيه ، ونظرة الدهشة فيهما ، قبل أن يسقط
أرضاً ، أمام عيني (هشام) ، الذى صاح فى ارتياح :

- جدى .

استدار وهو ينحنى نحو جده ، وشاهد بريق منظار بندقيته ، فوق
السطح المقابل ، قبل أن يختفى حاملها ، الذى أطلق مسرعاً ،
وسمع أحد المحيطين له يهتف فى ذعر :

- لقد مات .

الكلمة فجرت فى أعماقه شعوراً هائلاً بالغضب ، جعله ينطلق
كالبرق نحو تلك البنية ، التى تبعد عن المطار كثيراً .

كان يعدو وكان ألف شيطان قد سكن ساقيه ، وحولهما إلى آلة
كبيرة هائلة العدو ..

كان يجرى ، ويجرى ، ويجرى ، وعيناه ترصدان ذلك القتل الإسرائيلي
 للمحترف ، الذى بلغ مدخل قبلية ، بعد أن ترك بندقيته ذات المنظار
 أعلاها ، واتدفع نحو سيارة ، تنتظره عند الناصية ، تطلعت به فور
 أن وثب إليها ، و (هشام) يصرخ ، دون أن يتوقف عن العدو :
 - أوقفوه .

لم يسمعه أحد ولم يلتفت أحد ، فى حين راحت السيارة
 المسرعة تبتعد ..

وتبتعد ..

وتبتعد ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد واصل عدوه خلفها لعدة أمتار ،
 قبل أن تختفى عند ناصية بعيدة ..

وهنا فقط ، توقف (هشام) ..

كان الغضب واليأس والحزن يملأ نفسه ، وسيطر على كيانه كله ..
 ولكنه لم يبك ..

لم يذرف دموعاً واحدة ..

كان وكأنه يختزن كل هذا فى أعماقه ..

يختزن الغضب ..

والىأس ..

والحزن ..

والدموع ..

يختزنها كلها من أجل هدف واحد ، سيطر على نفسه ، وملأ
 كيانه كله ..

الانتقام ..

هدف يعنى أن التاريخ يعود نفسه ..
 لحين

فجأة ، كما يحدث دائماً ، استعاد (أدهم) وعيه ..

وفى لحظة واحدة ، كما يحدث دوماً أيضاً ، استعاد ذهنه صفاءه ،
 واستوعب كل ما حوله ..

ومن حوله ..

كان مقيداً بتلك القيود الفولاذية ، وإلى جواره (منى) ، داخل
 تلك الكوخ الخشبي من الخارج ، بجدراته الداخلية المصلوعة من
 الصلب ..

وكان أمامه وحوله خمسة رجال ..

(كوربوف) ..

وثلاثة من عمالته ..

و(قلدى) ..

كان العمالقة الثلاثة يحيطون بـ (قدرى) ، الذى بدا شديد الارتياح ، وهو يحدث فى (أدهم) و (منى) ، ويقول بصوت مرتجف ، أقرب إلى البكاء ، فور أن فتح (أدهم) عينيه :

- ب إلهى !.. حمداً لله .. حمداً لله على سلامتك يا صديقى .

التفت (أدهم) إلى (منى) ، التى غمغت فى حزن :

- لقد قاومت .. ولكن ...

قاطعها بابتسامة حنون ، على الرغم من ذلك الموقف الرهيب ، الذى يعيشونه معاً :

- لا عليك .. إنه قدرنا .

قاطعهما (كوربوف) بتصليق بارد ، جعلهما يلتفتان إليه ..

(منى) فى توتر ..

و (أدهم) فى تحد ..

أما (قدرى) ، فقد غمغم فى مرارة شديدة :

- لقد أوقع بنا جميعاً ، و ..

التفت إليه (كوربوف) فى شراسة ، هاتفاً :

- اصمت .

أطبق (قدرى) شففيه فى توتر ، حاصة وأن العمالقة الثلاثة اقربوا منه أكثر على نحو جعله ينكمش على نفسه ، فقال (أدهم) فى صرامة :

- اصمت يا صديقى ، فهذا النوع جيد فرض قوته على الضعفاء

نطقها بالروسية ، اننى بحيدها (قدرى) ، بحكم دراسته القديمة هناك^(*) ، فاعتقد حذب (كوربوف) فى غضب ، وهو يقول فى حدة وشراسة :

- والأقوياء أيضاً .

ولوح فى وجه (أدهم) بسبابته ، وهو يستطرد :

- وألتم الدليل على هذا .

قال (أدهم) فى سخرية :

- أمن المفترض أن ارتجف ؟

هتف (قدرى) بالروسية :

- (أدهم) لا ينحنى أبداً .

التفت إليه (كوربوف) بحركة حادة ، هاتفاً :

- وماذا عنك ؟

(*) راجع قصة (البداية) العدد رقم (16) ، من سلسلة الأعداد الخاصة

تراجع (قدرى) فى عنف ، وارتطم بالعمالقَة الثلاثة ،
فاستطرد (كوريوف) فى تعالٍ :

- أنت تعلم أنه بإمكانى قتلِكَ كالجرذ ، بإشارة واحدة من يدي ،
ولكننى أحترم موهبتك وأصابعك الذهبية ، لئلى يتحدثون عنها كثيراً .

ثم مائل نحوه ، مضيقاً :

- هل تعمل لحسابى أم ...

قاطعه (قدرى) ، وجسده المكتظ كله ينتفض :

- أم ..

اعتدل (كوريوف) بحركة حادة ، وهتف بأحد رجاله :

- أخرجهُ من هنا .. أتركهُ فى حراسة (جوركى) وبقي لرجل .

جذب العملاق (قدرى) خارجاً ، وهذا الأخير يلقي نظرة بالسة
أخيرة على (أدهم) و (منى) ، فمنحه (أدهم) ابتسامة هادئة ،
وهو يقول بالعربية :

- إلى اللقاء يا صديقى .

انعقد حاجبا (كوريوف) فى شراسة ، عندما لم يفهم العبارة ،
والتظر حتى خرج (قدرى) من الكوخ ، وأضاف فى وحشية ، وكأنا
يكمل عبارته الأخيرة :

- حتى انتهى من مهمتى هنا .

والتفت عيناه بعينى (أدهم) فى تحد . وهو يضيف :

- نهائياً .

وارتجف جسد (منى) . ولكن عيننا (أدهم) واصلتا تلك النظرة
للمتحدية ..

كلن يتحدى الخطر ..

و (كوريوف) ..

ولموت ..

لموت نفسه ..

على ارتفاع منخفض للغاية ، حلقت طائرات الهليكوبتر الحربية
الروسية ، بمحركاتها خافتة للصوت ، وبدخلها أكثر من ألف جندي ،
من مقاتلى أقوى ثلاث دول ..

(روسيا) ..

و (أمريكا) ..

و (بريطانيا) ..

وبإشارة من (فيدور) ، راح المقاتلون يقفزون من الطائرات إلى الجليد ، وكل منهم ينطلق لاحتلال موقع متفق عليه ، فور أن تلامس قدماه الأرض ..

ست دقائق كاملة ، استغرقها هبوط الجنود ، واحتلالهم لمواقعهم ، قبل أن تنطلق الطائرات مبتعدة ..

وبإشارات صامتة ، تجمع الكل حول (فيدور) ، الذي قال بكنمات موجزة أمرة سريعة :

- سندور حول البقعة ، التي حددتها الخبراء ، ورصدت عندها الأقمار الصناعية لدوننا تلك التحركات .

سأله جندي أمريكي في اهتمام :

- هل تم تحديد نقطة الهجوم بدقة يا سيدي ؟

أجاب (فيدور) في سرعة :

- ليس تمامًا ، ولكننا حددنا المنطقة ..

سأله روسي :

- وكيف سنبدأ الهجوم ؟

لم تكن لدى (فيدور) إجابة واضحة لهذا السؤال ؛ لذا فقد أجاب في حزم ، أخفى به جهله :

- هم سيقودوننا إلى هذا .

سأله بريطاني :

- وكيف ؟

لم يحاول (فيدور) إجابته هذه المرة ، ولكنه أشار بيده للجميع ، فإطلقوا يصنعون دائرة كبيرة ، لمحاصرة منطقة ما وسط الجليد .

منطقة لا يرى هو نفسه ، أين سيبدأ الهجوم فيها ، ولكنه ، وفد للخطأ ، كان ينتظر مبادرة من رجال (كوروبوف) .

مبادرة تقودهم إليه ..

وإلى وكرة ..

مبادرة لا يرى هو نفسه كيف ستأتي ..

كيف ؟

عند تلك النقطة من أفكاره ، وبينما يتخذ الرجال أماكنهم بالاضبط ، نوى ذلك الانفجار ..

لتفجر تلك الكوخ ، الذي أسرف فيه (كوروبوف) (أدهم) و(منى) ، وطار سقفه عاليًا ..

عاليًا جدًا ..

طار على نحو جعل جميع الجنود يتحذرون بمدافعهم ولسلحتهم .

وجعل (فيدور) يتحفر بشدة ..

جسديًا وعقليًا ..

ربما كانت هذه هي المبادرة الملتظرة ..

ربما ..

لذا ، فقد اعتدل (فيدور) ، وسرى حملاس شديد في جسده ،
وتدفق في عروقه ، وهو يهتف بالرجال :

- استعدوا .

وتأهب لكل للقتال ..

القتال الأخير ..

على الرغم من رغبته الشديدة في ألا يبدى ضعفه أمام عدوه ،
لم يستطع (قنرى) أن يكبح تلك الدموع التي تسالت على وجهه
في غزارة ، وهو يجلس إلى جوار (كوروبوف) ، في سيارة هذا
الأخير ، التي تنطلق بهما ، عابدة رى للوكر السرى المنيع ، الذي
استولى عليه من (سوني) ، هانفت إليه (كوروبوف) ، وقال في
لهجة ، لم تفقد رنة الظفر والزهو بعد :

- سامنحك عشرة ملايين دولار سنويًا .

لم يجب (قنرى) ، من فرط حربه وألمه ، فتابع (كوروبوف)
في صرامة :

- وستعمل كمستشار خاص لى .

بذل (قنرى) جهدًا ، يتجاوز حزنه ، وهو يقول في حدة :

- قلت لك : إننى أفضل الموت .

رمقه (كوروبوف) بنظرة مقت ، وهو يقول :

- من يدري ؟! .. ربما تحظى به .

كان موكبه قد اقترب من الوكر ، لذا فقد ارتفع حاجز من وسط
الجنيد ، كشف المدخل السرى للوكر ، فعبرته السيارات إلى الداخل ،
قبل أن يخلق مرة أخرى خلفها ..

ومن بعيد ، وعبر منظاره المقرب ، رصد (فيدور) ما حدث .
فهتف بالرجال :

- ها هو ذا ،

وببشارات متصلة من يديه ، أحاط المقاتلون بالوكر ، واستعدوا
لهجوم ..

« هناك من يحيط بالمكان أيها الزعيم .. »

لم يكد (كوربوف) يهبط من سيارته ، داخل وكره ، حتى استقبله أحد رجاله بالعبارة ، فعقد حاجبيه ، قائلاً في صرامة :

« كم عندهم ١٩ »

أجاب الرجل ، دون ذرة من القلق :

« يربو عن الألف . »

نظر إليهما (قذرى) فى لهفة ، وتصوّر أنه الأمل ، ولكن (كوربوف) قال فى استهتار عجيب :

« فقط . »

ثم التفت إلى (جوركى) بسأله :

« هل استعنا السيطرة على وسائل الأمن ، التى أوقفناها (سونيا) »

أجاب (جوركى) فى اهتمام ، يشوبه الضيق :

« (بورى) استعدها فى لحظات . »

التفت (كوربوف) إلى (قذرى) ، وكما يراقب رد فعله لما سيقول ، قبل أن يجيب :

« أبدهم إذن . »

اعتدل (جوركى) ، وتألفت عيناه فى نشوة ، وهو يقول :

« كما تأمر أيها الزعيم . »

لبتسم فى شراسة ، وهو مازال يواجه (قذرى) . قائلاً :

« لا أحد يتحدث (كوربوف) ، ويبقى على قيد الحياة . »

شعر (قذرى) بفصّة شديدة فى حلقه ، ففغم فى حدة :

« اللعبة لم تنته بعد . »

أطلق (كوربوف) ضحكة عالية مجلجلة ، وهو يقول :

« بل انتهت .. وسترى هذا بنفسك . »

قالها ، واتجه نحو قاعة السلاح ، ودفع رجاله (قذرى) ليتبعه فى قسوة ، وزعيم (المافيا) الروسية يواصل إطلاق ضحكاته الساخرة الظافرة ..

الشريرة ..

وفقاً للخطة الموضوعية ، أحاطت قوات الدول الكبرى الثلاث بوكرا (كوربوف) ، إحاطة لسّوار بالمعصم ، دون أن تترك ثغرة واحدة ، كافية لفرار جرد صغير ، واستعد الكل بأسلحتهم للهجوم ، و ...

وفجأة ، انطلقت تلك الصواريخ ..

صواريخ صغيرة شديدة التفجير ، انطلقت من أماكن مختلفة
من الوكر ، وهوت تتفجر وسط رجال (فيدور) ..

وفي قلب جليد (سيبيريا) ، دوت الانفجارات ..

ودوت ..

ودوت ..

وراح رجال قوات ثلاث دول يتناثرون .

ويصابون ..

ويقتلون ..

وامتزجت الدماء بالجليد ..

وسالت ..

وجرت ..

وبكل توتره ، هتف (فيدور) ، عبر جهاز الاتصال الخاص .

- إنهم يهاجموننا بأسلحة قوية للغاية . سريد إمدادات . الكثير
من الإمدادات .. أرسلوا الطائرات ..

ولكنه فوجئ بأن أحداً لن يتلقى استغاثته أبداً .

فنظم الأمن ، حول وكر (كوربوف) ، يحوق قبلل الإطارات ..

تماماً ..

وهذا يعني أن للقصف سيمسر . حتى النهاية .

أو حتى الإبادة ..

« أخيراً يا (سونيا) .. »

نحنها (كوربوف) في شمعة شديدة ، وهو يواجه (سونيا
جراهام) ، داخل تلك القاعة ، التي تحوى تلك السلاح ، الذي سيحصد
من زعيم العالم الجديد ، وأطلقت انفجارات للنار كلها من عينيه ،
وهو يبرهما في وجوه (يوري) و (قسري) ، و (توركليف) ،
(جوركي) ، قبل أن يضيف :

- سلاحك الرهيب سيبدأ عمله ، وسيثبت للعالم كله قدرته على
التدمير الفائق .

قالت في برود عجيب :

- حقاً ؟!

أشار إلى السلاح ، الفين لم ير (قسري) مثيلاً له من قبل ،
وهو يقول :

- تستطيعين أن تقرى بأنك خسرت المعركة الآن يا (سونيا) ،
وإن (كوربوف) هو الزعيم الجديد .. زعيم العالم .

رفعت أحد حاجبيها وخفضته ، قائلة :

- لم تتزعّمه بعد يا (كولوف) .

التمعت عيناه في شراسة ، وهو يقول :

- إنها مسألة لحظات يا (سونيا) (توركنيف) قرّر الانضمام
إليّ ، وعندما يضيف معادلته الناقصة إلى البرنامج ، سأصبح قوة
لا تداركها قوة .

ثم التفت إلى (توركنيف) ، قاتلاً في وحشية :

- أليس كذلك ؟

بدا تولّر شديد على وجه (توركنيف) ، في حين أطلقت (سونيا)
ضحكة عالية عابثة مجنولة ، جعلت (كوربوف) يلتفت إليها في
شراسة ، لتقول في سخرية كبيرة :

- عجباً يا زعيم أوغاد (روسيا) . هل تصورت أن نضم أمن
محكمة . كذلك التي استخدمها في مزرعتي ، خلّت من نظم مراقبة ؟

هتف في غضب :

- مزرعتك .. إذن فأنت .

قاطعته بنفس المخزية :

- نعم .. أنا (سوشا جريجوري) استخدمت نفس الحرفين
الأوليين من اسمي ، تماماً كما يفعل (أدهم صبري) ، وأنت لم
تنتبه إلى هذا .

ومالت نحوه ، مضيفة ، وقد امتزجت شرستها بسخريتها :

- لأنك تتمتع بذكاء الذئب فحسب .. بعقريّة الشوارع ، وليس
بفكر المخابرات المنظم .

رمقه بأكثر نظرات العالم مقناً ، وهو يقول :

- لن يصنع هذا فارقاً ، لأنني أملك الآن كل شيء .

قالت ساخرة :

- خطأ .

ثم أشارت إلى (توركنيف) ، مستطردة :

- لأن هذا الرجل لا يملك ما تسعى إليه .

هتف (يوري) في عصبية :

- (إيفان توركنيف) هو الذي صنع هذا السلاح ، وهو وحده
يمتلك معادلته الناقصة

قالت (سونيا) في سرعة :

- هذا صحيح تمامًا .

ثم ابتسمت ابتسامة كبيرة ، وهي تشد قامتها ، مستطردة :

- ولكن هناك مشكلة واحدة .

ولتتمتع عيناها ، مع استطرادتها :

- فهذا ليس (توركليف) .. ليس (توركليف) الحقيقي .

وانتفض جسد (كوربوف) في عنف ..

فالمفاجأة كانت قوية ..

أكثر مما ينبغي .

11 - المهمة الأخيرة ..

« الحرب اشتعلت في قلب (سيبيريا) .. »

نطقها وزيرة الخارجية الأمريكية في مؤتمر ملحوظ ، وهي تراجع

صور الأقمار الصناعية ، التي أرسلها مدير المخابرات على نحو

عاجل ، فتعتقد حديق الرئيس الأمريكي ، وهو يقول في عصبية :

- دعها تشتعل .

انفقد حاجباها في ضيق ، وخاصة عندما أشاح بوجهه ،

مستطرذا :

- إنها ليست أول حرب تشتعل .

قالت الوزيرة ، في شيء من الحدة :

- الحروب الأخرى نحن أشعلناها .

قل في حدة :

- وعجزنا عن إطفائها .

ثم للتقط نفسا عميقا ، مضيفا :

- دعينا نكتفى بالمراقبة هذه المرة ، طالما قرّر الروس للقيادة .

جلست أمامه ، قائلة :

- وهل تتصور أنهم قادرون على حسم المعركة ، وإفقاد العالم ؟؟

التفت إليها ، قائلاً فى عصبية :

- وهل نحن كذلك ؟؟

زمرت ، قائلة :

- نحن أقوى دولة فى العالم .

زمر بدوره ، وهو يقول :

- المعركة تدور على أرضهم .

صمتت لحظات ، حتى لا تدخل فى مشادة عنيفة ، ثم سألته ،

وهى عاجزة عن كتمان عصبيتها التقليدية :

- وماذا لو انتصروا ؟؟

قال فى حدة :

- اقتصرنا ... إنها قوات مشتركة

التقطت نفساً عميقاً ، فى محاولة للسيطرة على أعصابها ،

قبل أن تقول :

- حسناً .. ماذا لو انتصرنا ؟؟

قال فى صرامة :

- إنها معركة سرية ، ولن يمكننا أن نلحق به بانتصارنا .

قالت فى حدة :

- كنت أسأل عن ذلك المصرى . (أدهم صبرى) .

صمت لحظات ، قبل أن يقول :

- المصرى من يكون أمره قد انتهى الآن . ما دامت الحرب تشتعل

هناك ، أما هو أنه قد نجا ، فالأوامر صريحة لدى الجميع .

صمت لحظة أخرى ، ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

- القضاء على (أدهم صبرى) .. تماماً .

والتمعت عينها الوزيرة ..

بمنتهى الشدة ..

مع تاريخه الوحشى كله ، لم يستطع (توريوف) كتمان غضبه

ومخطئه الشديدين ، مع ضحكات (سونيا) الساخرة ، و (يورى)

يصرخ :

- مستحيل .. إنه (توريوف) .. لقد التقيت به مرتين .

أجابته (سونيا) في سخرية :

- مستحيل ليها المتحلق ؛ لأن (توركنيف) الأصلي نفى مصرعه ، منذ ستة أشهر كاملة .. أما أمرت بقتله ، بعد أن حصلت منه على المعادلة التي كنت تنقصني ، أما من التفتت به ، تحت كاميرات المراقبة الخفية ، فهو ممثل مسرحي مغمور ، يدعى (ناروليف) ، لتفقيته تشبهه الكبير بالعالم .

غمغم الرجل ، الذي ينتحل شخصية (توركنيف) ، وهو يرتجف ؛

- هذا صحيح .

في حركة سريعة غاضبة ، سحب (كوروبوف) مسدسه ، وأطلق منه رصاصة .. رصاصة اخترقت رأس الممثل الذي اتسعت عيناه ، في رعب وألم ، قبل أن يسقط جثة هامدة ، تحت قدمي (يورى) ، الذي ارتجف في شدة ، وهو يقف للخلف مبتعدًا ..

أما (كوروبوف) ، فقد عاد يستدير إلى (سونيا) ، ويصوب إليها مسدسه ، هاتفاً :

- نورك .

بدت شديدة الهدوء ، إلى حد متير ، أدهش (قدري) نفسه ، وهي تقول في استهتار :

- لن تجرؤ .

أدهش رجال (كوروبوف) ، لأنه لم يطلق النار فوراً ، وهتف (جوركي) في حدة :

- إنها تستحق القتل ليها الزعيم .

شعلت (سونيا) واحدة من سجارتها الرفيعة ، وهي تقول :

- غي .. لست حتى بذكاء زعيمك الوحشي ، الذي أدرك أن قتلي سيحبطه بخسر كل شيء .

وللمتعت عينها ، مع إضافتها :

- للمبيل الوحيد أمامه هو التحالف .

قال (جوركي) في غضب مستلكر :

- للتحالف ؟

زمجر (كوروبوف) ، وهو يقول في خشونة شرسة :

- ماذا تعرضين بالضبط يا (سونيا) ؟

نفثت دخان سيجارتها في قوة ، وهي تقول :

- كما سمعت يا عزيزي (كوروبوف) .. التحالف .. أنت تملك السلاح ، وأنا أملك المعادلة الناقصة لتشغيله ، وكل منا لا يمكنه أن يعمل دون الآخر ، لذا فالوسيلة الوحيدة هي أن نتحالف معًا ، لنصبح أقوى قوة في العالم .

قال (كوروبوف) في حذر :

- أخبريني أين المعادلة ، وسوف ...

قاطعه في صرامة :

- المعادلة هنا يا رجل .. في رأسي .. لا يوجد سهل سوى أن نتعاون ..

ثم انعقد حاجباها في شدة ، وهي تضيف .

- ودون أية محاولة للخداع .

صمت (كوروبوف) طويلاً ، وهو يتطلع إليها في شك حذر ، فقال (جوركي) في عصبية :

- لا تسمح لها أيها الزعيم بـ ...

صرخ فيه (كوروبوف) . في شرسة وحشية :

- اخرس .

صدم (جوركي) للعبارة ، وتراجع في هلع مستنكر ، في حين قالت (سونيا) بمنتهى الصرامة .

- ما قولك يا (كونوف) ؟!

هتفت في حدة :

- (كوروبوف) يا (سونيا) .. (كوروبوف) ..

ثم مد يده إليها ، مستطرذا :

- ولكن هذا لا يمنع من تحالفنا .

ابتسمت في ظفر ، وهي تمد يده لتصافحه ، قائلة .

- بالتأكيد .

التربت يداهما ، و ...

وفجأة ، دوت تلك الفرقة ..

فرقة قوية ، عند سقف القاعة ، أعقبها هبوط جسد بشري ، من السقف ، إلى قمة السلاح الرهيب ..

شخص التفتت إليه عيون وأسلحة الجميع .

ثم توقف للمشهد كله في ذهول ..

(قذرى) وحده ، هتف في تفاعل جارف :

- كنت أعلم .. كنت واثقًا .

فذلك للشخص ، الذي هبط على قمة السلاح ، كان آخر شخص
يمكن أن يتصور الجميع وجوده في القاعة ..

لو حتى في هذه الحياة ..

كان (أدهم) ..

(أدهم صبري) ..

شخصيًا ..

كيف ؟!

هذا هو السؤال .

كيف نجا (أدهم) من ذلك الفخ رهيب ؟!

كيف نجا من انفجار الكوخ ، المحاط تسبً برجال (كوربوف) ؟!

بل وكيف وصل إلى وكر (كوربوف) ؟!

وإلى قلب قاعة السلاح الرهيب مباشرة ؟!

أسئلة عديدة كثيرة ومعقدة ..

ولكن الأجوبة تحتاج إلى أن نعود بنرمن إلى الوراء ..

إلى تلك اللحظة ، التي غادر فيها (كوربوف) كوخه ، وأغلق
بابه خلفه في إحكام ، وبدأ تسرب الغاز وتنفق المياه ..

« (أدهم) ... »

لم يجب (أدهم) هتاف (منى) ، وقد انعقد حاجباه ، وبدأ
شديد التركيز ..

إلى أقصى حد ..

وسدنة غريزية ، كتمت (منى) تنفّسها ، وهي تحاول إطالة فترة
بقائها على قيد الحياة ، ولكن (أدهم) قلل في هدوء أدهشها :

- ذلك الغاز أخف من الهواء ، وفي هذا الطقس شديد البرودة ،
سيستغرق دقيقة على الأقل ، حتى يصل إلى أنوفنا .

شعرت بالمياه الباردة كالثلج ترتفع إلى قدميها ، وهي تقول
في توتر :

- وملاذا عن المياه ؟!

لم يجب مباشرة ، وواصل تركيزه لحظة ، ثم فوجئت به ، يحل
بديه ، وينحنى لحل وثاق قدميه ، وهو يجيب :

- مستغرق واثقًا أكثر .

حدثت فيه دهشة بالغة ، أقرب إلى الذهول ، وهو ينهض ليحل قيودها في سرعة ، جعلتها تهتف ، وقد اختنق صوتها ، من فرط الانفعال :

- كيف ؟

أجابها ، وهو يرفع أمامها قطعة رقيقة من المعدن ، يمسكها بسبابتها وإبهامه :

- احتفظ بها دومًا في ظرف كم سترتي

حدثت في قطعة المعدن ، وهو يميل لحل وثاق قسيميها ، مضيقًا :

- وكثيرًا ما أفادتني في مواقف شبيهة .

فوجئت بأنها قد تحررت تمامًا ، فقالت مرتجفة :

- وما فائدة هذا ؟.. القنابل ستنفجر .

أشار إلى فقاقيع من الهواء ، تتصاعد من وسط المياه ، التي ارتفعت من حولهما ، وهو يقول :

- هل تعرفين ما هذه ؟

أجابته في دهشة وتوتر :

- مجرد فقاقيع هواء .

قال ، وهو يغمص بينيه وسط المياه المثججة ، ويعالج شيئًا ما .

- بل هي سبيلنا للنجاة يا عزيزتي .

تساءلت بمنتهى الدهشة :

- وكيف ؟

واصل معالجته تلك الشيء لحظات ، قبل أن يجذب يده إلى أعلى ، فانبعث صوت قوي ، وانخفض منسوب المياه في سرعة مذهلة ، جعلتها تهتف :

- ما هذا ؟

أجابها ، وهو يجذبها إليه في حزم :

- نفق .. نفق يقود إلى هذا الكوخ .

ودفعها داخل ذلك النفق ، مع المياه المتدفقة ، مستطردًا :

- ويقودنا خارجه .

شعرت بالمياه المثججة تحيط بها ، وهو يثب خلفها ، ويقفل مدخل النفق خلفه ، فهتفت :

- وكيف علمت بوجوده ؟

أجابها في انقباض :

- لدى مصاري .

ثم دفع رأسها تحت المياه ، وغاص خلفها ..

كانت المياه التي تحيط بهما باردة كالثلج ، ولكنه راح يسبح فيها ، وهو يحيط وسطها بثراعه ، وهي تسبح معه بكل قوتها ، ولكن جسدها كله كان ينتفض ..

ويرتعد ..

ويتجمد ..

ومن خلفهما نوى الانفجار ..

انفجار رهيب ، جعل جسديهما يرتجفان في قوة وسط المياه ، وشعرت هي بأنفاسها تضيق ، وبأطرافها تتجمد ، وراحت تقاوم في استماتة ، ولكن أطرافها تجمدت أكثر .

وأكثر ..

ثم راح كل شيء يظلم من حولها ، وانتفض جسدها في عنف أكثر ، قبل أن يهدأ كل شيء ، وتغيب عن الوعي تماماً ..

لم تدركم استغرقت من الوقت ، في عيوبها هذه ، ولكنها استعدت وعيها ، لتجد (أدهم) يجاهد لإفلاتها ، على الرغم من المياه الباردة ، التي تغمر جسده كله ..

والعجيب أنها قد شعرت بالدفء ..

دفء عجيب ، وكأنها ترقد إلى جوار قرص الشمس نفسه .. وبكل دهشتها وتوترها وانفعالها ، سمعت :
- ماذا حدث ؟

ابتسم في وجهها ، قللاً في حنان :

- لقد نحوت .

قالت ، وهي تمس وجهه بسبابتها :

- أنت أنقذتني .. كالمعتاد .

قال في حنان دافق :

- حمداً لله على سلامتك يا حبيبتي .

ارتفع حاجباها في حنان وحب ، ثم استعاد ذهنه موقظهم ، فاعتدلت في حركة حادة ، وتلفتت حولها ، هاتفة :

- أين نحن ؟

كانت رائدة داخل مكان أشبه بمصنع صغير ، محاط بأبواب ومواسير ، تشع منها حرارة شديدة ، وسمعت (أدهم) يجيب :

- نحن داخل وكر (كوربوف) .. في منطقة توزيع التدفئة .

هتفت فى دهشة بالغة :

- وكيف وصلنا إلى هنا ؟

أجابها ، وهو يساعدها على النهوض :

- ذلك التفتق فى الكوخ قادنا إلى هنا .

حدقت فى وجهه بدهشة بالغة ، وهى تقول :

- كيف عرفت كل هذا ؟

- سبق وأن ألهبرتك .

ثم مال نحوها ، مضيقاً :

- لى مصادرى .

تطلعت إليه بلظرة عتاب ، قليلة :

- (أدهم) .

هزّ كتفيه ، قائلاً :

- الواقع أن أحدهم أرسل لى خريطة كمنه . بكر تفاصيل وممرات ومداخل ومخارج وكر (سونيا) .

قالت فى دهشة شديدة :

- من أرسلها ؟

قلب كتفيه ، وهزّ كتفيه ، قائلاً :

- سيدهشك أننى لا أعرف من أرسلها ، ولا حتى كيف لجح فى إرسائها ، ولكنها كانت خريطة شديدة الدقة ، على نحو مدهش ، وكان أحدهم رسمها من داخل المكان .

سألته فى قلق :

- وكيف يمكنك الجزم ؟

أشار إلى ما حوله ، قائلاً :

- هنا هنا ، ولقد نجونا .. أليس كذلك ؟

بدت حائرة لحظات ، قبل أن تقول :

- ألا تخشى أن ...

قاطعها فى حزم ، وهو يمسك جانبى وجهها فى خنان ، قائلاً :

- (منى) .. نحن هنا .. قاب قوسين أو أننى من ذلك السلاح الرهيب ، الذى يهدد أمن وسلامة العالم كله . العالم يا (منى) ، وليس (مصر) وحدها .

غمضت ، وهى تتطلع إلى عينيه :

- ووسط رجل (المافيا) الروسية .

قال في حزم :

- المهم أن نلتفت للعالم .

سألته ، وهي تذوب في عينيه الشبيهتين بعيني أسد :

- وكيف ؟

التقط نفساً عميقاً ، وقال في حزم شديد :

- لدى خطة .

وكان ما كان ..

« مستحيل ! .. »

هتفت (سونيا) بالعبارة ، وجسده كله ينتفض ، من فرط الانفعال والغضب ، في حين اتسعت عينا (كوربوف) عن آخرهما ، وهو يحدثني فيما بدا له أعقد من مجرد مستحيل ! .

لقد قتلته بنفسه ..

قتله ، وشاهد الكوخ يتفجر ، ورجاله يحيطون به من كل صوب ..

فكيف ؟ ..

كيف ؟

« كيف ؟ .. »

صرخ بالسؤال ، بكل انفعال الدنيا ، فأجابته (أدهم) ، بنهجه المملخة دوماً :

- كيف ماذا يا هذا ؟! كيف نحوت من فخك المحكم ، أم كيف وصلت إلى ما تصوّرتم أنه منيع !

هتفت (سونيا) في شراسة :

- نعم ، كيف وصلت ؟! لقد صممت هذا الوكر بنفسى ، وأعلم جيداً أنه لا مهرب للوصول إليه ، دون أن ينكشف أمر من يحاول !! ..

هر ، أدهم (كتفيه في لا مبالاة ، على الرغم من أن كل فوهات أسلحة رجال (كوربوف) قد صوبت إليه ، وقال :

- الواقع أن هذا كان مستحيلاً .

ثم أشار إلى (كوربوف) ، مستطرداً في سخرية .

- لولا أن هذا قادنا إليه .

انتفض جسد (كوربوف) - وهو يهتف مستكراً .

- أنا ؟!

بدا (أدهم) أكثر سخرية ، وهو يجلس على قمة السلاح في استهتار ، قائلاً :

- هل تصوّرت أن ذكاء الذئب يمكن أن يتفوق على ذكاء الخبراء ؟! . هراء .. لقد كنا ندرک ، منذ اللحظة الأولى ، ومنذ كشفنا بديك الزائف ، أن هدفك هو أن نسعى نحن لإخراج (توركنيف) من أجلك ، خاصة وأن بديك قد شرح لنا ما لا ينبغي أبداً أن يعرفه بديل ، معد للوقوع في يد الخصم .

بدا (كوريوف) شديد الغضب مما يقوله (أدهم) ، ولكن هذا الأخير استطرد بنفس الاستهتار :

- كنا أمام احتمالين ، لا ثالث لهما . إما أنك سلاج إلى درجة البلاهة ، وإما أنك تقصد كل هذا لسبب ما ، وبالطبع كان الاحتمال الثاني هو الأرجح ، لذا فقد بنينا خطتنا كلها على هذا الأساس

عض (كوريوف) شفته السفلى في حلق ، و(أدهم) يبيع :

- وكلنا بالطبع على ثقة تامة من أن نظام الأمن في الممرعة ، يحوى جهاز مراقبة دقيق ، وأن كل خطوة نخطوها ، وكل كلمة ننتطقها ، ستنتقل مباشرة إلى ...

صمت لحظة ، ثم التفت إلى (سونيا) مصد في سخرية شديدة :

- إلى عزيزتنا (سونيا) .

بدت (سونيا) شديدة الغيظ ، وهي تقول :

- كنتم تعرفون ؟!

أشار بصمائه ، قائلاً :

- ومنذ اللحظة الأولى ،

هتفت :

- أنتم أنتم .

قاطعها (كوريوف) . وهو يهتف به في حدة :

- إذن فقد كنت تعلم أنه كمين ..

قال (أدهم) ، ملوحاً بيده :

- ممن سيقولنا إلى الوكر ، الذى فشل الجميع فى العثور عليه ..

ولم لا إس ؟!

فجأة ، اطلق (قدرى) ضحكة ..

ضحكة عالية ، مجلجلة ، ظافرة .

أطلقها وهو يهتف :

- كنت أعلم ، كنت واثقاً مما ستفعله . كنت واثقاً .

احتقن وجه (كوريوف) ، وهو ينظر إليه فى غضب هائل ، فى

حين حملت لهجة (أدهم) كل ظفر وسخرية الدنيا ، وهو يقول :

- وما أنذا .

احتقن وجه (كوريوف) أكثر ، وصرخ فى رجاله ، بكل غضب الدنيا :

- اغتلسوه .

« لا .. السلاح .. »

هتفت (سونيا) بالعبارة ، وجسدها كله يرتجف ، من قمة رأسها ، وحتى أخمص قدميها ، من فرط الانفعال ، في حين صرخ (كوريوف) في ثورة وحشية :

« اقتلوا هذا الرجل .

ارتفعت فوهات الأسلحة كلها نحو (أدهم) ، الذي انزلق عن سطح السلاح في خفة مدهشة ؛ ليسقط خلفه مباشرة ، و(سونيا) تصرخ :

« لا تطلقوا النار على السلاح .

كان (أدهم) قد هبط عند الجانب ، الذي يحوى كل أجهزة التحكم في السلاح ، فاندفع نحوه (يوري) ، هاتفا :

« لا .. لا تحاول .

ولكن لكمة من قبضة (أدهم) أطاحت به بعيدا في قوة ، فارتطم بالسلاح ، ثم سقط أرضا ، و(كوريوف) يصرخ :

« أوقفوه .. أوقفوه بأي ثمن

اندفع رجال (كوريوف) يدورون حول السلاح للضخم ، ونهض (يوري) يصرخ :

« لا تسمحوا له بتشغيله .. ما زالت هناك معادلة ناقصة

ولكن (أدهم) أدرك ما تعنيه هذه العبارة ..

لو تم تشغيل السلاح ، يدوب هذه المعادلة الناقصة ، ستحدث حتما كارثة ..

كارثة قد تدمر السلاح ..

لذا فقد اندفع نحو الأجهزة ، ودفع ذراع التشغيل في قوة ، الرصاصات تتناثر حوله كالمنظر ، و(يوري) يصرخ ، وهو يندفع محاولا منعه :

« لا .. لا .. ستفسد كل شيء .

لم يدر وهو يندفع ، أن اندفاعه هذه ستكون تذكرة النجاة ..

نجاة (أدهم) ..

فمع اندفاعه ، صنع حاجزا بين (أدهم) والرصاصات ، دون أن يدرى ..

وواصلت الرصاصات طريقها ..

واخترقت جسده ..

ومع شهقة (يوري) القوية المذعورة ، بدأ السلاح عمله .

وصرخت (سونيا) :

- لا .. لا .. أوقفوه .

عاد الرجال يطلقون الرصاصات نحو الهدف ..

ولكن المشكلة كانت تكمن في الهدف ذاته ..

لقد وثب (أدهم) ، كما لو أنه يطير ، واختفى لحظة خلف السلاح ، قبل أن يظهر مرة أخرى عند قمته ، ويقفز منقضاً على (جوركي) ، الذي حاول أن يصد انقضاضته ، ولكن (أدهم) ارتطم به قبل أن يفعل ، وانهاى على وجهه بثلاث لكمات بالغة السرعة ، وهو ينتزع منه سلاحه ، ويلتفت به إلى الآخرين . كان يفيض بالقتل كما لا يفيض أى شيء آخر ، ولكنها كانت لحظة ، لا بد وأن يقاتر فيها من أجل هدف واحد

إنقاذ (مصر) ..

وإنقاذ العالم ..

وصرخت (سونيا) ، وهى تدافع نحو (كوريوف) :

- استدع الآخرين استدع كل رجاله . لنجد من إيقافه ، وإيقاف تشغيل السلاح ، قبل أن نخسر كل شيء

كان وجه (كوريوف) يشتعل بكى غضب الدنيا ، وهو يراقب رجاله ، الذين استداروا لموجهة (أدهم) ، ولكن هذا الأخير استقبلهم بوابل من الرصاصات ، حصدهم حصداً ..

وبكل سرعته ووحشيته ، جذب (كوريوف) سلاحه ، ووثب نحو (قذرى) ، وأحاط عنقه بذراعه من وراءه ، وألقى فوهة مسدسه بصدغه ، وهو يصرخ :

- توقف يا هذا . توقف ، وإلا فسأه كإنجذ الحقيير

لثقت إليه (أدهم) فى سرعة ، فصرخ (كوريوف) فى وحشية .

- أقسم أن أقتله .

وصرخت (سونيا) :

- أوقف سلاح يا (أدهم) أوقفه ولا تسيقضى عليه جميعاً .

أجلبها (أدهم) ، وهو يصوب سلاحه إليها وإلى (كوريوف) :

- وهذا سينقذ العالم .

هتفت فى عصبية بالغة :

- وماذا سيصيب العالم ؟ هناك يوم من يحكمه ويسيطر عليه

راجع التاريخ وستدرك أننا على حق . ما الفارق إذن ؟! ما الفرق لو أن (أمريكا) هى زعيمة العالم ، أو أننا نحن نسيطر عليه .

قال فى صرامة :

- (أمريكا) لديها قانون .

صرخت (سونيا) :

- ونحن أيضا نأفانولنا .

صرخ (كوربوف) بكل وحشية :

- هل ستواصلون درس التاريخ السخيف هذا . قلت لك : إننى سأقتل رفيقك بلا رحمة ، لو لم توقف هذا السلاح .

صمت (أدهم) لحظة ، ثم قال فى حزم :

- ماذا ينبغي فى رأيك ؟

هتف (قدرى) فى حماس :

- لا تبالى به يا صديقى . لا تبالى به أو بى . ثم بواجبك ، وبما يمليه عليك ضميرك ، حتى ولو ..

ارتفع من خلفه صوت أنثوى حازم ، يقول :

- كان يقصدنى أنا بمؤالته يا عزيزى

انفطر (قدرى) ، مع سماعه لصوت ، والتفت (كوربوف) و(سونيا) إلى مصدره فى جد ، فارتطمت عينا الأولى بفوهة مسنن ، مصوئية إلى رأسه ، وحملها ملامح (منى) الصارمة ، وهى تقول :

- (أدهم) لم ينجح وحده .

تعقد حاجبا (سونيا) فى غضب شديد ، شاركتها فيه (كوربوف) ، وهو يطلق زمجرة وحشية رهيبة ، فى حين أطلق (قدرى) ضحكة عالية ، ارتج معها جسده المكثف كله ، وجعلت (كوربوف) يصرخ :

- لا أحد يفعل هذا مع (كوربوف) .

قالها ، وهو يحذب إبرة مسننه فى قوة ، ثم ينصق فوهة المسنن أكثر بصداغ (قدرى) ، و...

ووثبت (منى) ..

وثبت تركل (كوربوف) فى أنفه مباشرة ..

ومع الركلة اللعيفة ، احتل توازن (كوربوف) ..

وضغط الزناد ..

وانطلقت الرصاصة ..

انطلقت وفوهة المسنن تبتعد عن رأس (قدرى) بسنتيمتر واحد .

وشعر (قدرى) بدوى هائل فى أنفيه ..

دوى كاد يفقده حاسة السمع ، ويفقده وعيه كله ، لولا أن

ارتفع فجأة دوى آخر ..

دوى أشد صغفاً ، وأكثر قوة .

دوى انطلق من السلاح ، الذى راح يرتج فى عنف ، وبدأت قممته تكتسب لوناً أحمر .

وانسعت عينا (كوربوف) ، فى حين صرخت (سونيا) .

- أيتها الأعبياء .. لقد أفسدتم كل شيء

قللتها ، وانطلقت تعدو خارج القاعة ، فى حين استدار (كوربوف) إلى (منى) بزمجرة وحشية ، وضرب يدها الممسكة بالمسدس فى قوة ، قبل أن يصرخ :

- لا أحد يفعل هذا بالزعيم (كوربوف) .

استعدت (منى) لمواجهة ، فى حين ارتفع صوت (أدهم) وهو يقول فى صرامة غاضبة .

- هن تكمن قوتك كلها فى مهاجمة النساء ١٠

استدار إليه (كوربوف) فى وحشية وهو يقول :

- ربما لأن الرجال يحتمون بلاسحة .

هبط (أدهم) إليه فى هدوء ، ولقى للسلاح جانباً ، وهو يقول :

- (منى) . خذى (فدرى) ، ونفذى للجزء الأخير من الخطة .

قالت فى قلق ، وهى تجذب (فدرى) إليها :

- وماذا عنك ١٢

اتخذ (كوربوف) وقفة قاتلية ، وهو يقول فى وحشية :

- لا تقلقى بشأنه سيرونتهى امره هنا

اتخذ (أدهم) وقفة قاتلية بدوره ، وهو يقول فى صرامة .

- أذهبى .

جاءت (منى) (فدرى) إليها ، وهى تندفع به نحو مخرج سرى ، فهبط وهو يتبعها لاهثاً :

- (أدهم) .. سانتظرك يا صديقى .

التمعت عين (كوربوف) بهريق مخيف ، وهو يقول :

- لو تصوّرت أنك تجيد القتال ، فسيعلمك (كوربوف) كيف تقتل بحق .

كان السلاح قد بدأ يرتج فى قوة أكبر ، وبصدر صوتاً مخيفاً للغاية . فقال (أدهم) فى صرامة :

- وهل تتصوّر أنك ستجد الوقت لهذا ١٢

لم يكذب بنطقها ، حتى تعالى وقع الأقدام العديدة ، التى تندفع نحو المكان ، فابتسم (كوربوف) فى شراسة ، قائلاً .

- هل ستجده أنت ؟

ومع نهاية عبرته ، انتفع عدد من رجاله لدخل القاعة ، وارتفعت
فوهات أسلحتهم نحو هدف واحد

نحو (ادهم) ..

(ادهم صبرى) ..

رجل المستحيل ..

فجأة ، وكما بدأت تلك الصواريخ الدفاعية ، توقفت ، وساد هدوء
عجيب فى المكان ..

هدوء جعل أحد البريطانيين يهتف ، وهو يتلفت حوله ، مسملاً
عشرات الحثث ، الغارقة فى بحر من الدم والجليد

- ماذا حدث ؟

أجابته (فيدور) فى توتر :

- نست أدرى ؟ . إما أن دخيرتهم قد نفذت أو ..

بقر عبارته ، فسأله أمريكى :

- أو ماذا ؟

بدا حائراً ، وهو يقول :

- إن شيئاً أوقفهم .. شيء ما ، أو ...

صمت مفكراً لحظات أخرى ، قبل أن يضيف :

- أو شخص ما .

نظروا إليه فى دهشة حائرة ، وتلفتوا إلى بعضهم البعض ، وكان
كل منهم يبحث عن الجواب الذى الآخر ، وهم أحد الروس بإلقاء
سؤال ما ، لولا أن دوى تحت اقدامهم لتفجر مكتوم ، جعل معظمهم
يفقد توازنه فهب هربطانى آخر :

- ماذا يحدث ؟

تعتقد حاجبا (فيدور) فى شدة ، دون أن يجيب ، وراح يتلفت
لونه فى توتر ، قبل أن يهتف أحد رجاله :

- هناك .

التفت الجميع إلى حيث يشير الرجل ، وارتفع حاجبا (فيدور)
بمنتهى الدهشة ، وهو يحدق فيما أمامه ..

فوسط هذه الظروف ، بدا المشهد الذى أمامه مذهلاً ..

إلى حد كبير

عندما اقتحم رجال (كوربوف) القاعة ، وصوبوا أسلحتهم نحوه ،
تصور (أدهم) أنها النهاية حتمًا هذه المرة ..

ولكن المدهش أنه لم يبال بهذا كثيرًا .

لقد بلغ ما كان يملكه ..

ألق (مصر) ..

والعالم ..

منع الإسرائيليين من تنفيذ هدفهم الرئيسي ، وتحقيق السيطرة على
العالم ..

دمر السلاح الرهيب ..

السلاح الذي سعى الجميع خلفه ..

السلاح الذي سينفجر خلال لحظات ..

لذا فقد استدار إلى رجال (كوربوف) ، وشد قامته في
مواجهتهم ، وكأنه يتحدى أسلحتهم كلها بصدرة العنبر ، و ..

وفجأة ، دوى الانفجار ...

انفجرت قمة السلاح في قوة ، وارتفعت لترتطم بالصقف ، ثم
هوت وسط القاعة بدوى عنيف ..

هوت لتسحق اثنين من رجال (كوربوف) ، وتسدد الطريق
أمام الآخرين ، والسلاح يواصل ارتجاجاته ، حتى أصبحت شديدة
العنف ، وراح يطلق صوت يصم الآذان .

وبكل غضبه وثورته ، وثب (كوربوف) نحو (أدهم) ، صرخا :

- لن نفلت بفعلتك هذه .

مال (أدهم) بحركة سريعة ، متفاديا انقضاضة (كوربوف) ،
ثم اعتدل بلكم (كوربوف) في أنفه بكل قوته ..

وطر حسد (كوربوف) في عنف ، وارتطم بسلاحه ، وسقط
عند قاعدته ، وحاول أن ينهض ، وهو يصرخ :

- عليكم به يا رجال .. عليكم به .

ولكنه عندما اعتدل ، لم يكن هناك أدنى أثر له (أدهم) ..

ولكن السلاح الرهيب كان يرتج في عنف أكثر ، وأجهزة التحكم
تصدر صفيرا قويا تحذيريا ، قبل أن يدوى الانفجار .

الانفجار العنيف ، الذي دمر الوكر كله ..

دمره بكل ما فيه ..

ومن فيه ..

وعبر ذلك العمر السرى ، الذى خرجت منه (منى) مع (قنرى) ،
كان (أدهم) يعدو بكل قوته ..

ويعدو ..

ويعدو ..

سمع الانفجار من قلبه ، وشعر بلفح النيران ، التى تطلقت عبر
الممر ، ولكنه لم يتوقف ..

ولم ينظر حتى خلفه ..

كان يدرك أن النيران تطارده بالأسنة لهب رهبة ..

ولكنه لم يتوقف ..

لقد بلغ نهاية الممر ، وثب يتعلق بذلك السلم ، الذى يقود إلى
المخرج العلوى ..

كان الممر أسفله قد تحول إلى ثون من اللهب ، وسحابة مشتعلة
تتصاعد تحوه ..

وتتصاعد ..

وتتصاعد ..

كان الأمر قد تحول إلى سباق رهيب ، بينه وبين اللهب .

وبينه وبين الموت .

كانت أنفاسه تضيق ، مع الحرارة الرهبة وسط (سيبيريا) ،
وهو يصعد السلم فى سرعة رهبة . كسبها من أيام عمله فى
القوات الخاصة ..

لحظات رهبة عاشها ، والديران تقترب منه .

وتقترب .

وتقترب .

حتى بلغ المخرج العلوى ، فدفعه إلى أعلى ، ووثب عبره ، ثم
أعده حفه فى قوة ، وتراجع إلى الخلف ، لتندفع أسنة اللهب لحظات
من حول المخرج ، لتضيق ماحوله من جديد ، قبل أن يهدأ كل شيء ،
وينبعث صوت (منى) المرتجف ، وهى تقول :

- (أدهم) .

التفت إليها ، وهو يثب واقفاً ، وانتبه فجأة إلى ماحوله ..

كان يقف معها ومع (قنرى) وسط ثلوج (سيبيريا) ، وحولهما
مساحة واسعة خالية يحيط بها أكثر من مئمة مقاتل ، من ثلاث
جنسيات مختلفة ، تعود إلى أقوى ثلاث دول فى العالم ..

وكانوا جميعهم يصوبون أسلحتهم نحو هدف واحد .

نحوه ..

وفي مرارة وأسى ، غمغم (قدرى) ، وهو ينهض مرتجفاً :
 - إنها النهاية هذه المرة يا صديقى .
 وكان من الواضح أنه على حق تماماً ..

إنهم يقفون فى العراء ، وسط ثلوج كثيفة ، وألسنة اللهب
 مازالت تملأ الممر الوحيد ، وتذيب ما حوله من جليد ، ومئات
 الأسلحة مصوَّبة نحوهم ..
 إنها النهاية لا ريب ..

« ماذا سنفعل يا (أدهم) ؟ .. »

نظفتها (منى) فى صوت مرتجف ، فالتفتى نفسها عميقاً
 وضمها إليه ، وهو يشد قامته فى قوة ، قائلاً فى حزم وصلابة :
 - لن ننتحلى .

تطلَّع إليه (فيدور) ، وهو يعلم أن القرات كلها تنتظر إشارة
 واحدة من يده ، لتسحق (أدهم) ورغبهيه سحقاً
 ولكن بحراً مشتعلأ كان يلتهب فى رأسه ..

هذا الرجل ، الذى يصوبون أسلحتهم إليه ، أنقذهم بيمالته من
 موت شبه محقق ، وأنقذ العالم من عصر مظلم رهيب ..

أنقذ بلاده ..

وزوجته ..

وأولاده ..

أنقذه هو شخصياً

النقط (فيدور) نفسها عميقاً ، حسم به أمره ، قبل أن يخفض
 سلاحه ، ويصرخ بكل قوته :
 - انتباه .

مع صرخته ، خفض الجنود أسلحتهم بحركة واحدة ، على
 اختلاف جنسياتهم ، واتخذوا وقفة انتباه عسكرية ، فى حين
 تقدَّم هو خطوتين إلى الأمام ، وقال بنفس القوة :
 - سيّد (أدهم) .

ثم رفع يده بتحية عسكرية ، فالقّة القوة والاحترام ..
 وفى آن واحد ، وبأن يفقدوا وفقتهم العسكرية ، أدى الجنود
 كلهم تحية عسكرية ماثلة .

قوت أقوى ثلاث دول فى العالم ، أدت كلها التحية لرجل واحد .
 (رجل المستحيل) ..

« (ادهم) . قل شيئاً . »

نطقتها (ملى) فى خفوت منفعل ، وهى تلنصق بـ (ادهم) ،
لذى ظل صامتاً لحظات ، وكأنه يحاول استيعاب الموقف المحيط به ،
قبل أن يلتفت إليها ، قائلاً :

- (ملى) .. أنتزوجينتى ؟

وانتفض قلبها فى صدرها ...

بمنتهى القوة ..

12 - الوداع ..

« مستحيل !! ... »

هتفت الوزيرة الأمريكية بالهمة فى غضب واستنكار بالغين ،
فالشاح الرئيس الأمريكى بوجهه ؛ ليتحاشى النظر إلى ملامحها
القبیحة ، فتابعت فى حدة :

- كانت نديهم أوامر بإطلاق النار عليه فور رؤيته

قال الرئيس فى عصبية :

- هل يمكنك الاعتراف بهذا ؟

تراجعت كالمصدومة ، فاعتدل يكمل فى صرامة ، امتزجت
بعصبته :

- لقد رفض الجنود تنفيذ الأمر .. رفضوا كلهم بلا استثناء
واحد .. لم يستطع أحدهم ، مع انفعال اللحظة ، أن يقتل الرجل ،
الذى أنقذ العالم

غمضت فى سخط :

- كان ينبغي أن يطيعوا الأوامر ،

لَوْح بيده ، قائلاً :

- رجالنا فقط كانت لديهم هذه الأوامر ، ولو جرد أحدكم على إطلاق
رصاصة واحدة ، لأطلق الروس والبريطانيون النار عليه

ثم التفت لفساً عميقاً ، وأردف في ضيق :

- لقد انتهى الأمر ، ، فحاولي نسيته .

انعقد حاجباها في غضب وسخط شديدين ، وصمتت لحظات ،
قبل أن تقول في عصبية :

- ماذا يرى الآخرون في هذا ؟! ..

مطاً شفتيه في أسى ، قائلاً :

- الجنرال (ماليكوف) يرفض مجرد التعيق على الأمر ، خاصة
وأن الرئيس الروسي قد منح ذلك للمصري ورفيقه وسلم الشجاعة ،
وسير (ويليام) تم إعفائه من الخدمة ، وحسوا مساعده (جون)
إلى جهاز الشرطة البريطانية في (أيرتدا) أما الإسرائيلي
(راعول) ، فهم يبحثون عنه ، وجندوا كل رجالهم في (إسرائيل)
من أجل هذا .

بدت عليها الدهشة حائرة ، فاستطرد مفسراً :

- لقد استولى على مليار دولار من الخزائنة الإسرائيلية ،
واختفى تماماً .

عقدت حاجبها ومطت شفتيها ، وهي تقول :

- هكذا هم . يرفضون أن يخرجوا مهزومين .. لابد وأن يربحوا
شيئاً .. أي شيء ، وبأية وسيلة .

قال في توتر :

- ربما ينطبق هذا عليه ، وليس عليهم .

وافقته بإيماءة متوترة ، ثم سألته :

- وماذا عن (كارولينا) ؟!

قال في مقت :

- تتصرف على نحو طبيعي تماماً ، وكأنه لم يكن لها أدنى
ارتباط بالأمر كله ، وتعيد تنظيم صفوف رجالها ، لتعويض
خسائرهما .

ترددت الوزيرة لحظة ، ثم سألته ، في شيء من العصبية :

- و(سونيا) ؟!

زفر في توتر ، قبل أن يجيب :

- الروس يقولون أن ذلك الوكر تم تدميره على نحو رهيب ،
حتى إنه يستحيل أن ينجو منه أى شيء .. أو أى شخص
سألت :

- ولكن ما من جثث ؟

هز رأسه نفياً فى قوة ، وقال :

- يستحيل العثور على أى شيء .

صمتت لحظات ، ثم سألت فى عصبية :

- وهل يمكنك الجزم بأن الروس صادقون ؟

زفر مرة أخرى ، وقال :

- صور الأقمار الصناعية تؤيدهم على نحو ما .

تراجعت فى مقعدها ، وسألته فى شيء من الحدة :

- وماذا عن ذلك المصرى .. (أدهم) ؟

أجابها فى خلق واضح :

- سيتزوج .

قلبت من مقعدها ، هاتفة فى استنكار :

- ماذا ؟! .. الآن ؟!

التقط الرئيس الأمريكى نفساً عميقاً ، وشر فى خلق :
- نعم ، الآن .

قلتها ، قرآن عليهما صمت عجيب بعدها ..

صمت له رائحة المراهة

والهزيمة .

والياس .

كل ياس .

نعق (قدرى) شفطيه بنسائه فى نهم ، وهو يتطلع إلى مائدة الطعام
لذاخرة بكل مالمذ وطاب ، والتي تتوسط حديقة ذلك الفندق الكبير
فى (القاهرة) ، وغمغم وهو يمنع لعبه من السير فى صحوبة :
- ينبغي أن يسرع .

سمع صوتاً من خلفه يسأله :

- من تقصد ؟!

قتفت (قدرى) إلى الدكتور (أحمد صبرى) ، شقيق (أدهم) .
وجراح المخ والأعصاب الشهير ، وهنئ :
- العروسين بالطبع .

ابتسم الدكتور (أحمد) ، وقال وهو يضع باقة من الورود على مائدة قريبة :

- تعلم الصبر يا صديقي . المفترض أن تكون قد اكتسبته ، بعد كل ما مررت به .

رفع (قدرى) يده هاتفاً ، وهو يشيح بوجهه :

- لا تذكرنى !

ثم أشار إلى باقة الورود ، متسائلاً :

- باقة عاشرة ١٩

أوما الدكتور (أحمد) برأسه إيجاباً ، وهو يقول :

- نعم ، تحمل اسم السيد (حسن) .

بهت (قدرى) ، وهو يسأله :

- السيد (حسن) ؟ .. ألم ..

قبل أن يكمل سؤاله ، قاطعه (أحمد) ، قائلاً :

- (هشام) أرسلها .. إنه لن يحسب (أدهم) بمصرع جده ، على يد الإسرائيليين ، إلا بعد حفل عراف

غمغم (قدرى) :

- حسناً فعل .

صمت (أحمد) لحظة ، ثم سأله :

- هل التحق بالمخابرات ، كما أراد جده ؟

هز (قدرى) كتفيه المكتظين ، وقال :

- لن نعرف أبداً .

ثم نظر إلى الساعة مرة أخرى ، وهتف :

- لماذا لا يصرع ؟!

ربت سكتور (أحمد) على كتفه مبتسماً ، وألقى نظرة أخرى على باقة الورود ، قبل أن يسأله :

- قل لى بصراحة يا (قدرى) : هل له (أدهم) صلة بتلك الأحداث العنيفة فى (سيبريا) ، والتي تناقلتها وكالات الأنباء العالمية ١٩

صمت (قدرى) لحظات ، ثم قال

- ربما .

ابتسم (أحمد) ، ومال نحوه ، قائلاً :

- وماذا عن الصينيين ؟!

سأله (قدرى) فى دهشة :

- ماذا عنهم ؟!

قال (أحمد) فى اهتمام :

- البعض يقول : إن مخبراتهم بدأت تتورط فى نشاطات عديدة مستترة ، فى (أوروبا) و (روسيا) ، وحتى فى (أمريكا) نفسها ، وأنها تحاول استغلال اضطراب الأوضاع العالمية لتتفوق على الجميع .

انعقد حاجبا (قدرى) فى شدة ، وانشغل لأول مرة عن المسألة العامة بالطعام ، وهو يفكر قليلاً :

- هل تعلم أن هذا يمكن أن يبسر الكثير من الأمور ؟

سأله (أحمد) فى شغف :

- مثل ماذا ؟

تطلع إليه (قدرى) فى صمت ، وهو يسترجع .. رواده (أدهم) ، فى طريق عودتهم إلى (القاهرة) ..

استرجع حديثه عن تلك المخطوطات ، التى وصلتته بطريقة غامضة ، دون تحديد مصدرها .

عن أولئك الذين عمئت الصيبة إحسان (تيا) لحسابهم .

عن القوى الجديدة التى تآبع صراع الشرق والغرب ، وتنتظر اللحظة المناسبة ، لتتقض عليهما . وتعلن مولد سيادة عالمية جديدة .

استرجع عشرات الأمور ، والدكتور (أحمد) يكرّر فى اهتمام :

- مثل ماذا يا (قدرى) ؟

ابتسم (قدرى) ، وهو يقول :

- أهذا وقت مناقشة مثل هذه الأمور ؟

ابتسم الدكتور (حمد) بدوره ، وقد فهم مايعنيه هذا ، وغمغم :

- كلا بالطبع يا صديقى .

مرّت الموسيقى نحن الزفاف فى هذه اللحظة ، فأقذنتهما من حرج الخوض فى الأمر ، والتفتا مع الباقيين نحو مدخل الحديقة ، حيث اتبعن دخان اصطناعى جميل استغرق لحظات ، قبل أن يعبره العروسان ، لتتبعن من كل الحلق آهات إعجاب وانبهار ..

كنا أشبه بمشهد أسطورى من رواية حائلة .

(أدهم) حلقه السوداء ، وربط عنقه القصير ، و (منى) بثوب الزفاف الأبيض ، وهى تتأبط ذراعه ، وسعادة الدنيا كلها تتفجر من كل خلجة من خلجاتهما معا ..

وفى خفوت حنون ، غمغم الدكتور (أحمد) :

- كيف نتخذا هذا القرار أخيراً ؟

مسح (قدرى) نعمة سعادة ، اتحدت ساخنة على وجهه ،
وهو يقول بكل سعادة الدنيا :

- ربما أتركها أخيراً أن الوقت قد حان .

غمغم أحمد ، وهو يشارك الجميع التصفيق للعروسين ، فى
انبهار كامل وسعادة بالغة :

- لقد حان منذ زمن طويل .

ملحه (قدرى) ابتسامة باهتة ، ثم راح يتبع (أدهم) و (منى) ،
وهما يرقصان معاً لأول مرة رقصة العروسين .

وكم بدا له أشبه بمشهد جميل فى رواية رائعة ، بنظرة الحب
الجميلة التى يتبادلانها ، وكل منهما ينظر إلى عيني الآخر مباشرة ،
وكأنه لا يرى سواه ، وذلك الدخان الاصطناعى يحيط بهما

كان لحناً شديد الرومانسية ، ذلك الذى اختاره لرقصتهما الأولى ،
حتى إن عيني (منى) قد دمعنا ، وهى تهمس :

- اهذا حقيقة ، أم أنتى فى حلم جميل ؟

تحسّس وجهها فى حنان وحب دافقين ، وهو يهمس بدوره :

- حقيقة يا حبيبتي حقيقة أنك ستكونين إلى جوارى ، حتى

آخر العمر .

هممت بكل الحب :

- أنا زوجتك الآن بالفعل ؟

همس بالترنمة عذبة :

- من حسن طالعى

هممت تسأله :

- وماذا عن (أم) .. أبتك يا (أدهم) ؟

تحسّس وجهها مرة أخرى ، وهو يقول :

- سنبحث عنه معاً ، وسنرعه حتى يحب (مصر) ، مثلما
أحبناها .

هممت :

- لن يهدأ لى بال حتى نجده .

قطعهما فجأة صوت (قدرى) ، وهو يقول :

- معذرة يا صديقاى ، ولكن الموسيقى توقفت منذ دقيقة كاملة .

انتبها إلى هذا ، فضحكت (منى) فى حرج ، وهى تقول :

- لم تنتبه إلى هذا .

غمغم في سعادة أبوية :

- لو أقتنى مكتبكما لما فعلت .

ثم مال نحوهما ، بهمس :

- ولكن ينبغي أن تفتتح المائدة .. إننى أتصور جوعاً

أطلق (أدهم) ضحكة قصيرة ، وربت على كتفه ، قائلاً :

- بالطبع يا صديقى .. دعنا نعلن هذا .

ارتفع لحن خاص ، عندما اقتربا من المقدة ، وتراح متلجج جنى ، وبرزت من خلفه نائلة ضييلة الحجم ، تدفع أمامها مقدة متحركة ، عليها كعكة زفاف ضخمة ، حتى قبلها تخطى الفتاة كلها تقريباً خلفه ، ووضعها أمام العروسين ، ثم استدارت تنصرف في سرعة .

ومع ابتسامته ، تابعها (أدهم) ببصره ..

كانت تبدو مألوفة إلى حد كبير ..

استلوبها نفسه ، وهى تبتعد ، بدا مألوفاً شدة .

كان يتابعها ببصره ، عندما هتف أحد سائرين :

- هيا .. لقطعا الكعكة .

ناولهما (قدرى) سكيناً مسرّحاً ، نه مقبض أبيض ، محاط بضفيرة من الحرير ، يحمر طرفاه حرقى لسمهما ، ولتسمت (منى) في سعادة ، وهى تقول لـ (أدهم) :

- سنقطعها معاً .

غمغم :

- كما فعلنا طيلة عمرنا .

أمسكا المقبض معاً ، واستعدا لقطع كعكة الزفاف ، و ..

وفجأة ، تذكر كل هذه ..

هذا القوام ، وأسلوب الحركة ..

إنها هى ..

(نيا) ..

الصينية الحسناء (نيا) ..

« لا يا (منى) ... »

صرخ بها بكل قوته ، وهو يحاول أن يدفع (منى) بعيداً .

تحركه بكل سرعته ..

وربما بأسرع مما فعل فى حياته كلها

ولكن الانفجار سبقه هذه المرة ..

تفجرت كمعة الزفاف في قوة ، وقبضت معها صرخات الجميع ،
وسد اضطراب شديد ، وتناثرت عشرات الشظايا في كل الاتجاهات ،
مع الهرج والمرج ..

وفي ذهول ، حدق (قدرى) في ذلك المشهد ، الذى تخلف
عن الانفجار ..

كانت (منى) ملقاه أرضاً بثوب الزفاف ، وقد غطت الدماء
واجهته ، و (أدهم) ملقى على بعد خطوات منه ، والدماء تنزف من
جبهته ، وجرح غير واضح فى ذراعه ، وحنته نصف ممرقة ، مع
جزء من قميصه ..

وعلى الرغم من إصابته ، اندفع (أدهم) نحو (منى) ،

- لا .. ليس (منى) .. ليس الآن .

لم يكن بيالى بكل إصاباته ، وهو يحتويها بين ذراعيه ويرفع
وجهها إليه ، هاتفاً :

- (منى) .. لا تتركينى الآن يا حبيبتى .. لا تتركينى الآن .

اندفع الدكتور (أحمد) شقيقه إليهم ، واتحنى بفحص ببض
عنقها ، قبل أن تتسع عيده فى ارتياح ، جعل (أدهم) يهتف به :

- هل ...

لم يتم سؤاله ، ولكن (أحمد) أوما برأسه إيجاباً فى أسف
وأسى ، ثم خفض عينيه ، متمتماً :
- آسف .

اتسعت عينا (أدهم) عن خروما ، وهو يحدق فى وجه
(منى) ، و ...

وانتفض جسد (قدرى) بعنف ..

بمسهى منتهى العنف ..

فلاول مرة فى حياته ، ومنذ عرف (أدهم) ، قبل حتى أن
يتحقق أيهما بجهاز المخابرات ، رأى تلك الدموع .

دموع رجل المستحيل ..

رأها تسيل من عينيه فى صمت ، وتتصاقت كقطرات المطر
على وجه (منى) ..

الدموع التى اختزلتها عيناه طويلاً ، والتى لم تذرفها ، حتى
عند مقتل والده ..

والعجيب أنه لم يصدر أى صوت ..

أى صوت على الإطلاق ..

فقط راحت دموعه تتساقط على وجهه (منى) لحظات ، قبل أن ينتفض جسده ، وهو يصرخ فجأة :

- لا .

صرخ بها ، وهو ينهض حاملاً جسدها بين ذراعيه ، وضماها في حنان جارف ، ثم اتجه بها خارج المكان ..

لم يجرؤ أحد على منعه ، أو اعتراض طريقه ، بل ولم ينهس (أدهم) حتى بحرف واحد ، وهم يتبعونه إلى الخارج .

إلى حيث تقف سيارته ، التي حملت على سطحها الخارجي زينة العرس . وفي بطنه ، فتح (أدهم) باب السيارة الخلفي ، ثم رقد جسد (منى) بكل حنان الدنيا ، على الأريكة الخلفية . واعتدل يتطلع إليها لحظات في حزن شديد ، ثم أغلق الباب في رفق وحزن مفقد القيادة ، وأدار المحرك وهنا فقط ، قطع الدكتور (أحمد) الصمت الرهيب ، وهو يقول :

- (أدهم) .. أنت بحاجة إلى الإسعاف .

استدار إليه (أدهم) يعيبيه الداعيتين ، وملامحه الجامدة ، في نفس الوقت الذي ظهر فيه أحد رجال الأمن ، وهو يلهث قاتلاً :

- لم نستطع العثور على أي أثر لها .

نقل (أدهم) بصره إليه بنفس الجود . ثم انطلق بالسيارة .. انطلق يبتعد ..

ويبتعد ..

ويبتعد ..

حتى اختفت سيارته عن الأنظار ..

اختفت تماماً .

بدأ نائب مدير المخابرات العامة المصرية شديد الحزن والتوتر ، وهو يشير بيديه أمام المدير ، قائلاً :

- لم نعثر لهما على أدنى أثر .

اتفقد حاجبا المدير . وهو يتطلع إليه ، فتابع بنفس اللهجة :

- لم يذهب بها إلى أي مستشفى ، ولا إلى أية عيادة خاصة . ولم يغادر البلاد ، عبر أية حدود معروفة ، برية أو جوية أو بحرية ، ولم يعد إلى منزله ، أو إلى منزلها . ولم يرهما أو حتى يلمحهما مخلوق واحد ، منذ غادر بها حفل زفافهما ، بعد أن .. بعد أن ..

لم يستطع نطق العبارة ، ولكن المدير أعفاه من هذا بإشارة من يده ، وهو يقول :

- ولكننا جهاز مخبرات ، ولا يمكن أن يختفى شخص مع جثة ،
دون أن نثر لهما على أثر ، سواء أكانا داخل الحدود أو حتى
خارجها .

هز النائب رأسه ، وهو يغمغم :

- إذا ما قرّر سيادة العميد (أدهم) أن يختفى ، فما من قوة
فى الأرض يمكنها أن تجده ، ما لم يرغب هو فى هذا .

تطلع إليه المدير لحظات فى صمت ، دون أن ينبس ببنت شفة ..
كان يعلم أنه على حق ..

على حق تمامًا ..

وفى ببطء ، نهض من مقعده ، واتجه نحو النافذة ، ووقف
لحظات يتطلع عبرها فى صمت ، قبل أن يغمغم :

- كم هو مسكين .. عاش حياة حافلة بالمذاب والجهد ، وعندما
هم بالنقاط لمحة من السعادة ...

ثم يتم عبارته ، واكتفى بهز رأسه فى أسى ، قبل أن يقول
فى خفوت :

- يحتاج إلى دفنها على الأقل .

تردد النائب لحظة ، قبل أن يقول فى خفوت :

- لو أنها قد لقيت مصرعها بالفعل .

التفت إليه المدير فى حركة حادة ، يسأله :

- ماذا تعنى ؟!

أجابه فى سرعة :

- ثلاثة من ضيوف الحفل أقسموا أنهم رأوا أصابعها تتحرك ، قبل
أن يغلق سيادة العميد باب السيارة الخلفى بلحظة واحدة .

انعقد حاجبا المدير فى شدة ، وهو يقول :

- أصابعها تتحرك :

غمغم النائب ، فى حذر :

- هذا ما أقسموا عليه .

صمت المدير طويلاً هذه المرة ، وهو يتطلع إلى ساحة جهاز
المخبرات ، وألف ألف فكرة تعصف برأسه ..

تلك المعلومة الأخيرة قلبت كل الأمور فى رأسه رأساً على
عقب ..

وبماتتهى العلف ..

إنه ، كرجل يؤمن بقوة المعلومات وتأثيرها ، يدرك أن أية معلومة جديدة ، تفرز حتماً عشرات الاحتمالات ..

وتضيف إلى ما كان مؤكداً كلمة (ربما) ..

تلك الكلمة التي تختلف عندها الموازين ..

كل الموازين ..

وفي اهتمام بالغ ، وبدون أن يبعد عينيه عن النافذة ، سأل :

- وما تعليق الدكتور (أحمد صبرى) على هذا ؟

أجابته النائب على الفور ، وبدون تردد :

- أبدى دهشته فى البداية ، ثم بدا حائراً مثلنا ، وقال : إنه فحصها بحواسه فقط ، وبدون أدلة دامغة ، وبدلاً له أنها قد لقيت مصرعها ، ولكن ...

قاطعه المدير فى حزم :

- ولكن ؟ .. هل استخدم هذه الكلمة ؟

أجابته النائب :

- بنصها يا سيادة المدير .

صعدت المدير لحظات أخرى ، ثم غمغم :

- هذا يصنع فارقاً كبيراً .

تردد النائب لحظة أخرى ، قبل أن يقول :

- ولكنه أكد فى الوقت ذاته ، أن إصابات سيادة العميد كانت تحتاج إلى إسعاف عاجل وإلا ...

تردد بشدة ، فسأله المدير فى صرامة :

- وإلا ماذا ؟

أجابته فى توتر :

- وإلا قتله .

قال المدير فى صرامة :

- هراء .

ارتفع حاجبا النائب فى دهشة ، وخاصة عندما أضاف المدير فى حزم :

- أمثال (أدهم) لا يموتون .

تضاعفت دهشة النائب كثيراً ، خاصة وأنها أول مرة يستخدم فيها المدير اسم (أدهم) مجرداً ، بدلاً من رمز (ن - 1) ..

أول مرة على الإطلاق ..

ولكن دهشته لم تدم طويلاً ؛ لأن المدير تابع في حزم أكثر :

- ف (أدهم صبرى) ليس مجرد رجل .

والتفت إليه مكملاً ، بملتهى الحزم والحسم :

- إنه أسطورة .

لم يعلق النائب بحرف واحد ، ولكن ألفاسه تلاحقت في انبهار شديد ، والكلمة تنوى في أعماق أعماق كيانه ..

نعم .. المدير على حق تماماً ، فى كل حرف نطق به ..

(أدهم صبرى) ليس مجرد رجل ..

- إنه أسطورة .

والأساطير لا تفنى ولا تموت ..

أبدًا ..

واسطوره بالتحديد ، مع تاريخها الحافل ، ستظل حتمًا أسطورة

فريدة ، فى سجل الأساطير ..

أسطورة خالدة ، تحمل اسمًا شديد التميز لرجل واحد ..

رجل حفر اسمه بحروف من ذهب ، فى تاريخ التضحية والفداء ..

رجل رفع راية (مصر) عالية ، حتى آخر لحظة فى حياته ..

رجل البطولة والبسالة والعطاء ..

رجل المستحيل .

تمت بحمد الله وشكروه

ونبيل فاروق

السادس من أكتوبر 2008 م

رجل المستحيل

صدر من هذه السلسلة

1 - الاغتيال الخاضع	54 - رعدة التلات	104 - الاخضر
2 - حياقي الموت	55 - القبي ترشوتة	107 - الحاد القننة
3 - قناع الخطر	56 - العهد القبيبي	108 - النخ
4 - صندع العوراسيم	57 - عممية الاثنتل	109 - قبضة السر
5 - العليد الدامي	58 - شعوم بطل	110 - القشال
6 - قتال الشكابي	59 - انشاق شبح	111 - مبدع للجريمة
7 - بريق الناس	60 - دوت كروكيتا	112 - القريق الاسود
8 - خريم الشيطان	61 - ملائكة الجحيم	113 - رباح العطر
9 - ادياس الثعيران	62 - حلت الصمبات	114 - صر الجحيم
10 - القل النور	63 - العانس	115 - بلا رحمة
11 - القاسرة الطبية	64 - كعت الصغر	116 - مهران الموت
12 - حلقاء الشر	65 - جعيل القتل	117 - صالحة الجبال
13 - ارض الهمال	66 - القو حة	118 - الارمية الكبار
14 - همدية موبت كارنو	67 - شعيم المزدوج	119 - فون القمة
15 - امبراطورية السم	68 - قلعة الصقور	120 - القديورا
16 - السبعة الاخيرة	69 - اعلنة الانتقام	121 - وجه القدر
17 - انتقام المغرب	70 - لمطرة الشر	122 - الاساس البديعة
18 - ظاه الصانعة حة	71 - ضد القتلون	123 - المستحيل
19 - ادياس الجحيم حة	72 - شريفة القاب	124 - العمة الاخيرة
20 - ثعلب الشاوج	73 - القتل القريب	125 - ساحة التهل
21 - نصيل الديران	74 - الدائرة الجوسية	126 - ساحة العطر
22 - اصابع الدمار	75 - ليون الجحيم	127 - لقلعة الصفت
23 - طارس التولز	76 - الدهر الامور	128 - الصخرة
24 - الضباب القاتل	77 - صانعة ماريينا	129 - القراصة
25 - القتل القبي	78 - مسمر الدم حة	130 - صميط الدم
26 - آخر الصابرة	79 - صندع الموت حة	131 - الصبور
27 - طموهرة السوداء	80 - وكتر القاب حة	132 - قريق المستحيل
28 - قلب القاصلة	81 - رجل الاطير حة	133 - دور الشاوج
29 - الصراخ القموطاني	82 - اة صمبوط حة	134 - الابطال
30 - الرمال المرفقة	83 - معركة القمة حة	135 - الاثنتل
31 - الخطوة الاولى	84 - جزيرة الجحيم	136 - القاسرة الكبرى
32 - خبطة القليب	85 - لغة الشر	137 - مدينة الشكابي
33 - الشوة (1)	86 - انتعبي	138 - الصخاية
34 - هارو القاشما	87 - حمة التواجزة	139 - الدجالي الامير
35 - قراصة البحر	88 - صمير القطر	140 - اتواجزة الاخيرة
36 - لقي الاطرائ	89 - قرضة السفاخ	141 - رجال ودماء
37 - قاتل الشيطان	90 - القتل	142 - رجل ودماء
38 - لعبة المحترفين	91 - الو حة القبي	143 - الاوراق القشونة
39 - ادياس القطر	92 - القطر	144 - القتلون
40 - مهلكي القتل	93 - قري القمو	145 - الورة الاخيرة
41 - الانتحاريون	94 - كتومة الدمار	146 - القريق
42 - المهلك القاتل	95 - الصراخ التواجزي	147 - القامضة
43 - القاتل	96 - المعركة القاصلة	148 - القطة (ب)
44 - القين انتانت	97 - القطر القمي	149 - القمية
45 - القطنان العلمية	98 - القناس	150 - النهاية
46 - لوب القليب	99 - مذاق الدم	151 - العودة حة
47 - الرضاة الشهيرة	100 - القرية القاصمة	152 - القناع حة
48 - صمطان القاية	101 - انقلاب	153 - الاغرائ حة
49 - القرية القاصية	102 - نور الدم	154 - التعري
50 - مهمة قاصدة	103 - القشر	155 - الاوصاب
51 - صم القوير	104 - القصر الاحمر	156 - التواجزة
52 - حياقي الموت	105 - قنارية الشاعة	157 - القشر
53 - قناب ودماء		158 - القطة
		159 - الهجوم
		160 - الوقاع